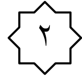
خطوات في طريق التفسير البيانـيّ
في سورتي الزَّلزَلة والقارعة

أ.د. خليل إبراهيم حمودي السامرائي



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى:

- الذي وسّعَ الطريقَ وعبّدَه، وَشَجَّعَ على السّير فيه.
- صاحبِ كتابِ «على طريق التفسير البياني».
- أستاذي المِفْضَال العلامة الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي

تحية احترام ووفاء.

وعسى أن تنال هذه الخطوات رضاه.

تلميذكم

خليل السامرائي

المقدمة

الحمدُ لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين خير مَن عُلِّمَ وَعَلَّم. وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرِّ الميامين ومَن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد، فقد عنَّ لِي مُنْذُ زمنٍ ليس بالقريب أن ألج غَوْرَ هاتين السورتين المباركتين (الزلزلة، والقارعة) لعلّي أظفر بِدُرَرٍ بيانية، فظلَّ قلبي يهفو إلى ذلك، وتتحرك إليه نوازعي، وتنطلق نحوه آمالي، فَوَقَفْتُ على شاطئ بحرهما أعيش في جوّهما، وأتدبَّرُ كلماتهما، وأُطيل النظر في أصوات مفرداتهما وائتلافها، وكيف انتظم ذلك كُلُّه ليعبرَ عن فكرتهما وأهدافهما. فيسرَّ لي ربّي ما كنت أرغب فيه، فكان الذي بين يديك: ((خطوات في طريق التفسير البياني في سورتي الزلزلة والقارعة)) وربّما سائل يسأل: ما الذي ستضيفه في دراستك هذه إلى ما جاء به السابقون واللاحقون؟

فأقول: إن القرآن الكريم كتاب الله الخالد مأدبةُ علمٍ وحكمةٍ وَخُلُقٍ، لا يَخْلَقُ، ولا تنقضي عجائبه، ولا تفنى كنوزه، وإنّ قارئه في كلِّ قراءة متدبرة لسوره، بل لآياته يظفر فيها بما لم يظفر به في القراءة السابقة، وهذا سرٌّ من أسرار إعجازه، ورحم الله تعالى من قال: ((لو أُعطي العبد بكلّ حرف من القرآن ألفَ فَهْمٍ لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أن ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله على قلبه، وكلامُ الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى

نهاية فهمه فُهوم محدثة مخلوقة))[1].

فدراستي هذه أودعتها مقدار فهمي لشيءٍ من بيان السُّورتين بما فتحه الله سبحانه وتعالى على قلبي. وهو لا يعدو أن يكون نظرات بيانية نستبين بها رَوْعةَ النَّظم البديع في كتابه العزيز.

والله أسأل أن يجعل هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم، ويقيل عثراتي، ويغفر خطيئتي يوم الدين.

أ.د.خليل إبراهيم السامرائي

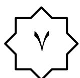
بغداد المحروسة

شوال ١٤٣٥هـ

---

(١) البسيط في التفسير - للواحدي ١/ ٢٣٦-٢٣٧. نقلاً عن كتاب نظرات لغوية في القرآن الكريم - صالح بن حسين العايد ص١٢.


سورة الزَّلزلة



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ صدق الله العظيم.

❑ بين يدَي السُّورة:

هذه السورة -أعني الزلزلة- مختلفٌ فيها قيل: هي مكية، وقيل: مدنية[1]. ونميل إلى الرأي الذي يرى أنها مكيّة، لأن هدفها هو عينُ أهداف السور المكيّة، فمقصدُها تقريرُ العقيدة الإسلامية وترسيخُها في نفوس المؤمنين، من الكلام على إثبات البعث الذي أنكره المشركون، وذكر شرط من أشراطه، وهي الزلزلة العظيمة وما يصيب الناس عند حدوثها من الفزع والهلع، وكيف يبعث الناس للحشر ليروا أعمالهم ويجازوا عليها ترغيبا لفعل الخير وترهيبا لاجتناب الشّر.

وهذه السورة اشتملت على أحكام الآخرة إجمالا، وأنها زادت على القارعة بإخراجها الأثقال وبحديث الأخبار[2].

وقالوا في سبب نزولها: إنها نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل، فيستقلُّ أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا بشيء، وإنما

---

(١) ينظر: جامع الأحكام ٤١٥/٢٢، البحر المحيط ٤٩٦/٨، فتح القدير ٤١٨/٥، وروح المعاني ٣٤٧/٢٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤٩٦/٨، التفسير الكبير ٥٤/٣٢.

نؤجر على ما نعطي. وأما الآخر فكان يتهاون بالذنب اليسير ويرى أنه لا شيء عليه منه إنما يحاسب بالنار على الكبائر؛ فنزلت هذه السورة ترغيباً في القليل من الخير، فإنه يوشك أن يكثر، وتحذيرا من اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكبر[1].

◻ مناسبتها لما قبلها:

ذكروا في المناسبة بين هذه السورة وسورة البيّنة التي قبلها أنه تعالى لمّا ذكر في سورة البينة جزاء الكفار وجزاء المؤمنين، قال تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ (البينة: ٨) فكأنَّ قائلا قال: ومتى ذلك يا ربُّ؟ فقال: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾[2].

◻ في ظلال السورة:

اقتضت حكمة الباري عزّ وجل أن يكون هناك يومٌ يُبعث فيه الناس لينالوا جزاءهم العادل، فلا تُظلم فيه نفسُ شيئا. فللسعيد الذي امتثل لأوامره عزّوجلَّ، وتجنَّب نواهيه، وَعَمِل الصالحات النَّعيمُ الُمقيم، وللشقيّ الذي تكبّر وعلا في الأرض وعاث فيها فساداً، العذاب الأليم.

وفي هذه السورة المباركة عرضٌ مفصّل لمشهد من مشاهد يوم القيامة يختلف عن غيره من المشاهد الأخرى التي عرضها القرآن الكريم في سوره المختلفة.

ويلاحظ أن التعبير القرآني استعمل في هذه السورة أكثر من أسلوب مؤثر لتحقيق مقاصده في إثبات البعث والجزاء، وتأدية هذه الفكرة السّامية

---

(١) ينظر: روح المعاني ٣٤٧/٢٩.

(٢) ينظر: أسباب النزول- للواحدي ٤٦٢/١، التفسير الكبير- للرازي ٥٩/٣٢.

أبلغ أداء. فالسّورة تنتقل من أسلوب إلى آخر حسب مقتضيات الأحوال والأغراض التي تحققها.

والذي ألقى على هذه السّورة رهبتها وشدة وقعها في النفوس اختيار ألفاظها وبراعة نظمها، وتمام تراكيبها، وما أحدثه التناسب الصوتي بين ألفاظ السّورة ومعانيها من ناحية، وجرس أصوات ألفاظ السّورة من ناحية أخرى، من تلائم منقطع النظير أضفى هيبة وجلالا على جوِ السّورة وأهدافها، فضلا على فواصلها التي أسهمت إسهاماً كبيراً في تمثيل المعنى وتصويره.

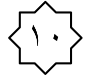
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾

ابتدأت هذه السّورة الكريمة بعرض مشهد من مشاهد القيامة، مشهد مفزع، مذهل، غريب لم يألف مثله الإنسان من قبلُ، وهو وقوع زلزال الأرض الذي لم يماثله، ولم يقاربه، ولم يضاهيه زلزال. نعم إن الإنسان كثيرا ما شاهد حدوث الزّلازل في الأرض وأَحسَّ بحركتها الشديدة، ورأى جسامة مخلفاتها من الدّمار والتشريد والإماتة، فقد شهد العالم حدوث زلازل دمَّرت مدنا، وحطمت مساحات واسعة من الأرض بأقلَّ ما يمكن حسابه من الزمن، ولكن هيهات هيهات المقارنة بزلزال الأرض الأعظم الذي يحدث وقتئذ، فلا يبقي، ولا يذر.

ويلاحظ أن السّورة ابتدأت بـــ(إذا) الظرفية المتضمنة معنى الشرط. وهذا الافتتاح أشدُّ إثارة للانتباه، وأكبر مدعاة للإصاخة إلى الجواب ؛لأن (إذا) الشرطية تستعمل لما تيقَّن وجودُه أو حصوله أو رجِّح، بخلاف (إن) الشرطية فإنها تستعمل للمشكوك في وقوعه، أو المحتمل الوقوع، أو النادر[1].

---

(١) ينظر: الجنى الداني- للمرادي ص٣٦٠، شرح المفـــصل- لابـــن يعـــيش ٤/٩، الإتقان- للسيوطي ٣١٦/١.



قال السيوطي: ((تختص «إذا» بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع بخلاف «إن» فإنها تستعمل في المشكوك والنادر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾ (المائدة: آية ٦)، ثم قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ (المائدة: آية ٦) فأتى بـــ(إذا) في الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه، وبـــ(إن) في الجنابة لندرة وقوعها بالنسبة إلى الحدث، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ﴾ (الأعراف: آية ١٣١)، ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (الروم: آية ٣٦) أتى في جانب الحسنة بـــ(إذا) لأن نعم الله على العباد كثيرة ومقطوع بها، و(إن) في جانب السيئة، لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها))[1].

وقال أبو سعيد السيرافي، وهو يتحدث عن استعمال (إذا): ((إن الذاكر لها في الكلام، كالمعترف بأنها كائنة،كقولك: إذا طلعت الشمس فأتني، فالمتكلم معترف بطلوع الشمس، وحقُّ ما يجازى بـــ(إن) لا يدرى أيكون أم لا يكون؟ كقولك: إن قدم زيدٌ زرته، وإن تمطر اليوم نجلس للحديث، ولا يدرى أيقوم زيدٌ أم لا؟ ولا يدرى أتمطر اليوم أم لا؟ ولذلك حسن: إذا احمرّ البُسْرُ فأتني، وقبح إن أحمَّر البُسْرُ فأتني؛ لإحاطة العلم أنّ احمرار البُسر كائن)[2] فلمّا كان هذا الزلزال مقطوعاً في وقوعه قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ

(١) الإتقان- للسيوطي ١/٣١٦-٣١٧.

(٢) شرح كتاب سيبويه- للسيرافي ٢/٢٢٨ ب. مخطوط، موجود في جامعه الإمـــام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٨٨٦٣ق) نقلا عن كتاب نظرات لغوية في القرآن الكريم-. د. صالح بن حسين العايد ص٢٠٦.

﴿ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ و لم يقل: إن زلزلت...

ومما يزيد توكيد وقوع هذا الزلزال العظيم هو استعمال الفعل الماضي بعد (إذا): (إذا زلزلت) وهذا الاستعمال يفيد حصول الحدث، أي: الزلزال المتناهي بالقوة والعظمة مرة واحدة فقط فهذه الزلزلة لا تتكرر، في حين أن المضارع قد يفيد افتراض الحدث وتكرره[١].

وجواب الشرط (تحدّث) وهو متعلق الظرف (إذا) والفصل بين (إذا) وجوابها بقولة تعالى: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ فيه تشويق كبير وتلهف إلى معرفه الجواب، لأن السامع هنا ينتظر الأخبار عن وقوع البعث والحشر، وجدير بالانتباه أنهم كانوا يسألون عن وقته فيقولون: (متى الساعة)؟ لكن التعبير القرآني عدل عن هذا التعيين، فعيَّنه ربُّ العزة بأشراطه وعلاماته و لم يعينه بوقته.

جاء في تفسير الرازي: ((أن لقائلٍ أنْ يقول: «إذا» للوقت فكيف وجّه البداية بها في أول السورة؟ وجوابه من وجوه:

الأول: كانوا يسألونه متى الساعة؟ فقال: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ كأنه تعالى قال: لاسبيل إلى تعيينه بحسب وقته، ولكني أعينه بحسب علاماته.

الثاني: أنه تعالى أراد ان يخبر المكلّف أنّ الأرض تُحِّدثُ وتشهد يوم القيامة مع أنها في هذه الساعة جماد، فكأنه قيل: متى يكون ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[٢].

---

(١) ينظر: معاني النحو- د. فاضل صالح السامرائي ٤/٤٣٦.

(٢) التفسير الكبير- للرازي ٣٢/٥٤.

﴿زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾

هذا الفعل مأخوذ من (الزّلل)، ومن معاني هذه اللفظة ومشتقاها: الحركة، والذهاب، والخروج والمرور السّريع[1] يقال: زلَّ، أي: تحرَك، وزلَّ عُمْرُ فلان، أي: ذهب، ومرَّزيد زَليلا وزَلولا، أي: مرِّ سريعاً. ويقالُ: قوس زلّاء: يزلُّ السَّهم عنها لسرعة خروجه.

وأرى أن هذه المعاني كلها مرادة في مادة (زلزلت) هنا؛ لأن (زلَّ) للحركة المعتادة[2]. فلمّا أراد التعبير القرآني أن يقرر شدّة هذه الحركة وسرعتها، وذهاب كلّ ما عليها يوم القيامة، قال: (زُلزلت) بتضعيف الحروف.

وهذا الأسلوب -أعني تكرير الحروف- من أساليب العرب في كلامها، أنهم إذا أرادوا شدّة الأمر ضاعفوا الفعل للدلالة على شدته كما قالوا: كَبْكَبَهُ،أي: كبّة بعد كبّة، ومنه قال تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾ (الشعراء: آية ٩٤).

ولأجل شدّة هذه الحركة وصفها الباري عزّ وجلَّ بالعِظَم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ (الحج: آية ١). وإنما بُني الفعل للمجهول (زُلزلت) لأن فاعله معلوم، وهو ربُّ العزّة.

﴿زِلۡزَالَهَا﴾

مفعول مطلق جيء به لتأكيد وقوع الحدث، لأن من وظائف المفعول المطلق التوكيد والتقرير، أي: إرادة المعنى الحقيقي، لا المجازي. فإذا قلت:

---

(١) ينظر: القاموس المحيط- للفيروز آبادي مادة (زلل) ص٥٦٩.

(٢) ينظر: التفسير الكبير- للرازي ٥٥/٣٢.

(أكرمت زيدا) يفيد أنّ الإكرام وقع وحصل، ويحتمل عدم حصوله، لكن إذا قلت: (أكرمت زيدا إكراما) نصَّصْت على وقوع الإكرام وحصوله. فدلالة الجملة الأولى احتمالية، أمّا دلالة الجملة الثانية فقطعية، ولذلك قال ربُّ العزّة: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ (النساء: آية ١٦٤).

وقرأ الجمهور: (زِلزالها) بكسر الزاي وهو مصدر، وقرأ الجحدري، وعيسى بن عمر بفتح الزاي[١]، وقيل: هو مصدر أيضا، كالوَسواس، والقَلقال، والجَرجار[٢]، وقيل: المكسور مصدر، والمفتوح اسم[٣].

ويلاحظ هنا أن النظم القرآني البديع استعمل لفظة (زلزالها) و لم يقل: (زلزالا)،أي: أنه أضاف المصدر إلى ضمير الأرض، وهو من إضافة المصدر إلى فاعله. وفي هذا الاستعمال أكثر من ملحظ بياني جميل يناسب الحدث العظيم وهو البعث في يوم القيامة .

فلو قيل: (إذا زلزلت الأرض زلزالا، أو زلزلة) لم يقتضِ أن يكون الزلزال عنيفا شديداً عاماً، بل قد يكون خفيفا كما نشاهد ونسمع اليوم عن حدوث كثير من الزلازل الخفيفة في الأرض، وقد يحدث في منطقة معينة، أوهنا، أو هناك من الأرض، لكن عندما أضاف المصدر إلى ضمير الأرض أفاد المبالغة في تمكن هذا الزلزال من الأرض وعمومه، كأنه عُرف بنسبته إليها، إذ المعنى: الزلزال العظيم العام المخصوص الذي يستحقه ويقتضيه جرم الأرض

---

(١) ينظر: جامع الأحكام للقرطبي ٤١٦/٢٢، والبحر المحيط ٤٩٦/٨.

(٢) ينظر: جامع الأحكام ٤١٦/٢٢.

(٣) ينظر: الصحاح- للجوهري مادة (زلل)، والكشاف- للزمخشري ٧٧٥/٤، ولسان العرب مادة (زلل) ١٩٦/٣.

وعظمُها، ((ولو لم يضف لَصَدق على كل قدر من الزلزال وإن قلّ))[1].

فهناك فرق بين قولنا: أكرمت زيداً إكراماً، وقولنا: أكرمت زيداً إكرامه. فالجملة الأولى فيها تأكيد على الإكرام فحسب. أي:ليس الإكرام مخصوصاً. أما الجملة الثانية فمعناها: أكرمته إكرامه المخصوص له الذي يستحقه.

قال النابغة:

أسائِلَتي سفاهَتها وجهلاً　　　على الهجران أُخْتُ بني شهابِ[2]

أي: سفاهة لها معروفة بها.

وقال آخر[3]:

واللّهُ أسماك سُما مُباركا　　　آثَرَكَ اللّهُ بهِ إيثاركا

يريد: إيثاركَ الذي اختُصِصت وعُرفت به.

لقد تحقّقت في هذه الإضافة عدة وجوه[4].

أحدها: القدر اللائق بالأرض من زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله بوقوع هذا الزلزال العجيب الشديد الذي لا يقادرُ قدْره، فكأن ما سواه ليس زلزالاً. فالإضافة هنا للعهد.

الثاني: العموم والمبالغة:

---

(١) البحر المحيط ٤٩٦/٨، وينظر: فتح القدير- للشوكاني ٤٧٩/٥.

(٢) الديوان ص.

(٣) البيت لخالد القناني ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف- لأبن الأنباري ص١٥، الدر المصون- للسمين الحلبي ٥٤/١، ولسان العرب مادة (سما) ٣٤٤/٣.

(٤) ينظر: الكشاف ٧٧٥/٤، التفسير الكبير ٥٥/٣٢، وروح المعاني- للآلوسي ٢٤٨/٢٩.

أي: يجوز أن يُراد بهذه الإضافة الاستغراق، لأن (الزلزال) مصدر مضاف فيفيد العموم، أي: زلزالها كلّه وجميع ما هو ممكن منه، فهو استغراق عرفي قُصد منه المبالغة، أي: زلزالها الداخل في كلّ ما يحتمله المحل.

الثالث: زلزالها الموعود، أو المكتوب عليها، إذا قُدِرت الأرض تقدير الحيِّ .

الرابع: مراعاة لفواصل الآي التي بعدها.

ويلاحظ في هذه الآية أيضا ورود أكثر من تأكيد للدلالة على حدوث هذا الزلزال وعظَمته.

أحدها: استعمال (إذا) الشرطية، وهي هنا للمقطوع حدوثه، وفي ذلك تأكيد على وقوع الزلزال العظيم.

الثاني: تكرار مقاطع الفعل (زُلزلت) ومصدره، وهذا التكرار يفيد التوكيد.

الثالث: التوكيد بالمصدر الذي أكّد وقوع الحدث.

وبعد الذي ذكرناه ننتقل إلى جانب آخر من جوانب هذه الآية، وهو ألفاظها وأصوات ألفاظها.

فلو وقفنا نتأمل ذلك مليّا لوجدنا أنّ أصوات ألفاظ هذه الآية قد حقَّقَت انسجاما صوتيا عجيبا بين ألفاظها ومدلولاتها التي رسمت في نظمها العجيب صورة هذا المشهد العظيم.

فلو نطقت جملة (زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزالَها) وتابعت بتأنٍ حركات جهاز النطق عند تحقيق أصوات ألفاظها لأحسست بشدّة في نطقها تتناسب هي

وحقيقة الزلزال وقوته، وما يصدر منه من أصوات، ثمّ صورة نهايته للإعلان عن بدء ما بعده من مشهد السورة.

فالزاي من حروف الصفير يُنطق بعد وضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان العليا ومقدمته مقابل اللثة العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى للهواء ضيّق، وتكون الأوتار الصوتية في حالة اهتزاز لجهره. أمّا الهواء الذي يخرج عند نطقه فيخرج مصحوبا بحفيف بسبب الاحتكاك بالمجرى الضيّق[1]. وقد أحدثت الضمة في نطقه أيضا شدّة، لأن الضمة أقوى الحركات وأثقلها.

واللام صوت أيضا مجهور متوسط بين الشدّة والرخاوة يحدث عند اتصال حافة اللسان بأصول الثنايا العليا (اللثة) من أحد جانبي الفم، فيتسرب الهواء في مجرى ضيّق من الجانب الآخر محدثا حفيفا، ويكون مؤخر اللسان مرتفعا عند نطقه نحو الطبق ويرجع نحو الحائط الخلفي للحلق[2]. والوتران الصوتيان أيضا في حالة اهتزاز عند نطقه بسبب جهره.

والألف صائت طويل مجهور يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال الحلق والفم من دون ان يعترضه مقطع يُثْنيه، أو يُغيّر مجراه[3].

أما التاء فهو صوت أسناني لثوي شديد مهموس، أي: لا يتحرك معه الوتران الصوتيان، يحدث عندما يندفع الهواء من الرئتين إلى مجرى الحلق والفم مارّا بالحنجرة، فيلاقي انسدادا محكما بسبب التصاق طرف اللسان باللثة

(١) ينظر: علم الأصوات اللغوية- د. مناف مهدي محمد ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه ص٦٩.

(٣) ينظر: علم اللغة- د. محمود السعران ص١٦٠.

وأصول الثنايا، وعند انفصال ذلك الالتصاق انفصالاً مفاجئاً يندفع الهواء بشدة محدثاً صوتاً انفجارياً[١].

إنّ إعادة مقاطع الفعل (زُلزلت) يدلّ على الحركة، لأن تكرار المقاطع الصوتية يتولد منه الحركة، مثل: كَبكبَ، وهلهل، وصَرْصَرَ، وأن تحقيق أصوات هذا الفعل أيضاً فيه شدّة، وإذا نطقنا أصوات لفظة (زلزال) من (زلزالها) لتحقّق ما تحقّق من نطق (زلزلت)، لكن نجد هنا أنّ كسرة الزاي ولّدت شدّة من الأسفل بعكس الضمة في الفعل التي ولّدت الشّدة من الأعلى.

أقول: لو تحسَّسنا بإمعانٍ حركات جهاز النطق وهو ينطق المقاطع الصوتية لـــ(زُلْزِلَتِ زِلْزالَ) من دون الضمير وتابعنا التنقل من الأعلى إلى الأسفل، وحركات اللسان الجانبية، وما يحدث معها من صفير وحفيف وانفجار لأدركنا تماما أنّ ذلك كلّه يُجَسّدُ حركة الزلزال وشدّة انفجاره.

ولو أضفنا المصدر (زلزال) إلى الضمير (ها) لأحسسنا ونحن ننطقه بانتهاء الشدّة التي تصوّر انتهاء شدّة الزلزال، لأن الهاء صوت مهتوت لما فيه من الضعف والخفاء[٢] وهو يخرج من أقصى الحلق، ولا يحدث اهتزازاً بالأوتار الصوتية بسبب همسه والله أعلم.

ونرى من الأهمية بمكان ونحن في نهاية حديثنا عن هذه الآية الكريمة أن نستأنس بما أتحفنا به سيد قطب -رحمه الله- من رؤية ذوقيّة توقظ النفوس الغافلة وتجعلها تتفكر وتتأمل، إذ يقول: ((إنها هزّةٌ عنيفة للقلوب الغافلة، هزّة

---

(١) ينظر: علم الأصوات اللغوية- د.مناف مهدي ص٦١.

(٢) ينظر: سر صناعة الأعراب- لابن جنّي ١/٧٤، ولسان العرب مادة (هتت).

يشترك فيها الموضوع والمشهد والايقاع اللفظي، وصيحة قويّة مزلزلة للأرض ومَن عليها، فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء في بضع فقرات))[1].

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾

ويكون ذلك الإخراج بسبب الحركة المتناهية للأرض، والاضطرابات الشديدة التي تحدث في طبقاتها، فيتشقّق سطحها كلياً، فتقذف ما في جوفها. ويلاحظ أنّ التعبير القرآني نسب الإخراج إلى الأرض ونزّلها منزلة مَن يملك ويدَّخر ويخرج ((والإخراج أكثر ما يقال في الأعيان، نحو: ﴿أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون: آية ٣٥) وقال عزّ وجل: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (الأنفال: آية ٢٥).. قال تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ (الأنعام: آية ٩٣).. ويقال في التكوين الذي هو من فعل الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾ (النحل: آية ٧٨) ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[2]))[3].

ونسبة الإخراج إلى الأرض من دون نسبته إلى المخرج الحقيقي، وهو الله سبحانه وتعالى تنبيهٌ على تفويض الأمر لها تفخيماً لها، وتهويلاً وتفظيعاً من شأن ذلك اليوم، وفي ذلك كله تدليلٌ على مشيئة الله سبحانه وتعالى وقدرته العظيمة في خلقه.

---

(١) في ظلال القرن- سيد قطب ٦/٣٩٥٤.

(٢) طه، آية ٥٣.

(٣) المفردات- للراغب الأصفهاني ص١٥١.

ويلاحظ أيضا أن التعبير أظهر الأرض في موقع الإضمار، قال: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ ولم يقل: (وأخرجت أثقالها) باستتار ضميرها، وذلك لزيادة التقرير[١] وإفادة التوكيد، وإرادة التفخيم لها. وقد آثر التعبير العطف بـــ(الواو) على (الفاء) فلم يقل: (فأخرجت الأرض أثقالها) لبيان ما تسبّب عن الزلزلة، لأن الفاء تفيد السبب، وإنما قال: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ وذلك لعدم إرادة السببيّة والمسببيّة؛ بل ذُكِرَ كلٌّ ممّا ذُكر من الحوادث من غير تعرّض لتسبب شيء منها على الآخر[٢]، فكأنما كلٌّ جملة قائمة بذاتها، ولها حُكْمُها وشأنها الخاص بها، وقيل: اختيرت الواو على الفاء تفويضا لذهن السّامع[٣].

﴿أَثۡقَالَهَا﴾

الأثقال جَمْعُ ثِقْلٍ، كحِمْلٍ وأَحْمال. وقد ذكر المفسرون أكثر من وجه للمراد بالأثقال هنا:

- **الأول**: أنّ (أثقالها) موتاها، وهو قول ابن عباس، وعكرمة[٤].
- **الثاني**: أنّ (أثقالها) كنوزها وموتاها[٥].
- **الثالث**: أثقالها: ما في جوفها من الدفائن[٦].
- **الرابع**: أثقالها: ما في جوفها من الأموات والدفائن[٧].

---

(١) ينظر: فتح القدير- للشوكاني ٤٧٩/٥، وروح المعاني ٢٥١/٢٩.
(٢) ينظر: روح المعاني ٢٥١/٢٩.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ينظر: جامع البيان- للطبري ٥٩٥/٢٤، وروح المعاني ٢٥٠/٢٩.
(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه- للزجاج ٢٦٨/٥.
(٦) ينظر: التفسير الكبير- للرازي ٥٥/٣٢ وتفسير النسفي ٣٧٢/٤.
(٧) ينظر: فتح القدير ٤٧٩/٥.

الخامس: أثقالها: أسرارها التي استودعتها، ولذلك قال: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ فتشهد للإنسان أو عليه[1].

السادس: الأثقال: جمع ثِقْلٍ بمعنى حِمْلِ البطن على التشبيه والاستعارة، قاله الشريف المرتضى[2].

السابع: قول أبي عبيدة، والأخفش: إن كان الثقل في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإن كان فوقها فهو ثقل عليها[3].

وأيّا ما قالوا في معنى الأثقال هنا فالسياق والحادثة، والمشهد والوقت كلُّ ذلك هو الذي يعيننا على تحديد بيان المراد منها. فنرى -والله أعلم- أنّ كلَّ الذي ذُكر في معنى الأثقال في هذه الآية الكريمة مراد ههنا فضلا عمّا لا يذكر وهو في بطنها يومئذٍ.

فالحادثة هي وقوع زلزال الأرض العظيم الذي يرجُّ الأرض رجّا، ويهزها هزّا، ويدكها دكّا لا يمكن تصوّر ذلك، فيجعل عاليها سافلها وبالعكس. وهذا يدلّل على عظم قوّة الباري عزّ وجل وقدرته، لأنّ المزلزل الحقيقي هو الله جلّ وعلا.

والمشهد مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة، والسياق سياق تهويل، وتفزيع وترهيب.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٣٢/ ٥٦، والنكت والعيون- للماوردي ٣١٩/٦.

(٢) ينظر: أمالي الشريف المرتضى ٩٥/١.

(٣) ينظر: مجاز القرآن- لأبي عبيدة ٣٠٦/٢، والنكت والعيون ٣١٩/٦، والتفسير الكبير ٣٢/ ٥٨.

فالمراد إذاً من (أثقالها) كلُّ ما ضمّته في جوفها من الأموات، والكنوز والمعادن، والصخور والأحجار، والدفائن المختلفة، وما لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى.

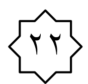
﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾

هذه الجملة عطف على ما قبلها. والمراد بالإنسان جنسُه، أي: كلّ فرد من أفراده، لأن (ال) الداخلة عليه تفيد استغراق الجنس. أي: انّ كلَّ إنسان حينما يرى ما يرى من فزع تلك الزلزلة وهلعها بغتة سواء ممّن آمن بالبعث، او ممّن كفر به يقولُ: ما لها؟!!.

وهي جملة تامّة من مبتدأ وخبر. والاستفهام يفيد التعجب والدهشة والحيرة، لأن التعبير تعبير نفسي عن أمرٍ خفي سببه من أمر هذا الزلزال غير المعهود من قبلُ لِما يصيب الإنسان من ذهول، ولِما يغلبه من الهول وفرط التحيّر، لأن الزلزلة شيء عظيم كما وصفها ربُّ العزّة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: آيات ١-٢).

ويلاحظ أنّ الأرض نُزِّلت مترلة قاصد مريد يتساءل الناسُ عن قصده من فعله، إذ لم يتبين غرضه منه[(١)]، لكن المؤمن بعدما يفيق، ويرجع إليه عقله وفكره، ويتدارك الأمر، يقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: آية ٣٥). أمّا الكافر فيبقى على الذهول والسّكرة، ويحشر أعمى كما

(١) ينظر: التحرير والتنوير- للطاهر بن عاشور ٤٩٢/٣٠.



عاش أعمى. جاء في تفسير الرازي: ((«ما لها» فيه مسائل:

المسألة الأولى: ما لها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها؟

المسألة الثانية: قيل: هذا قول الكافر، وهو كما يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ (يس: آية ٥٢). فأما المؤمن فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ (يس: آية ٥٢). وقيل: بل هو عام في حقّ المؤمن والكافر، أي: الأنسان الذي هو كنود، جزوع، ظلوم الذي من شأنه الغفلة والجهالة، يقول: ما لها! وهو ليس بسؤال؛ هو للتعجب لِما يرى من العجائب التي لم تسمع بها الآذان، وتطلّق بها اللسان، ولهذا قال الحسن: إنها للكافر والمسلم معاً.

المسألة الثالثة: على غير المواجهة، لأنه يعاتب بهذا الكلام نفسَه، كأنّه يقول: يا نفسُ ما للأرض تفعل ذلك، يعني يا نفسُ أنت السبب فيه، فإنّه لولا معاصيك لَما صارت الارض كذلك. فالكفار يقولون هذا الكلام، والمؤمنون يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾))[1].

وقال أبو حيان: ((«الإنسان ما لها» يعني معنى التعجب لِما يرى من الهول، والظاهر عموم الإنسان، وقيل: ذلك الكافر، لأنّه يرى ما لم يقع في ظنّه ولا صدقه، والمؤمن وإن كان مؤمناً بالبعث فإنّه استهول الأمر، وفي الحديث ليس الخبر كالعيان))[2].

وجاء في تفسير الآلوسي: ((والمراد بالإنسان جنسه، المؤمن والكافر.

---

(١) التفسير الكبير ٥٨/٣٢.

(٢) البحر المحيط ٤٩٧/٨.

الأول يقولها بطريق الاستعظام، والكافر يقولها بطريق التعجب))[1].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾

(يوم) ظرف منصوب، أي: في ذلك اليوم المروِّع تحدّث أخبارها. والناصب له (تحدث) إذا كان بدلا من(إذا)، لأنّ العامل في (إذا) جوابها، أو محذوف على رأي من يجوِّز ذلك، أي: اذكر إذا زلزلت[2]. ويجوز أن يكون العامل في (إذا) محذوفا، والعامل في (يومئذ) تحدث[3].

وإبدال (يومئذ) من (إذا) فيه ملحظ بياني، وهو أنّ الكلام لّما طال أراد أن يعيد إلى ذهن السامع ما مرّ من أحداث، لأنّ التنوين في (يومئذ) عوض عن الجملة المذكورة آنفا، فبدلا من ان يعيدها بلفظها كاملة اكتفى بذكر (يومئذ) لإيجاز وإحضار ما ذُكر للذهن تعظيما لذلك اليوم.

وممّا يلفت الانتباه أنّ التعبير لم يذكر المفعول الأول للفعل (تحدث)؛ بل اقتصر على ذكر المفعول الثاني، إذ التقدير: يومئذ تحدّث الْخَلْقَ أخبارَها. وسبب ذلك أنّ الغرض لا يتعلق بالمفعول في هذا السياق، وإنما المقصود المفعول الثاني، وهو (أخبارها)، فلم يذكر من تُحدثهم، لأنه لا يتعلق غرض بذكرهم[4].

إنّ عدم ذكر المفعول الثاني هنا حقّقَ نمطاً عالياً، وأسلوباً سامياً في التعبير، إذ إنّه أراد أن يوجه الاهتمام كلّه على المفعول الثاني (أخبارها)، لأنه مقصد الكلام وهدف السورة، ولأنّه أراد أن يطلق العنان إلى العقل ليتصوّر بأيّ شيء

(١) روح المعاني ٢٥١/٢٩.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن- للعكبري ٤٧٢/٢، والبحر المحيط ٤٩٧/٨.

(٣) ينظر: فتح القدير ٤٧٩/٥.

(٤) ينظر: الإكليل ٦١/٧، ومعاني النحو ٥١٦/٢.

تحدّث، وعن أيّ شيء، وعن كيفية التحديث -والله أعلم-، لذلك نجد المفسرين في بيان تحديث الأخبار، وكيفية التحديث على أقوال[1]، منها: أنّها تحدّث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها من خير أو شر، أو بما أخرجت من أثقالها، أو أنّها تحدّث بقيام الساعة، وأنها قد أتت، وأنّ الدّنيا قد انقضت.

وفي كيفية التحديث بإخبارها ذكروا: أنّ ذلك يكون إمّا بلسان الحال فيكون منها بيان يقوم مقام الكلام، أو بلسان المقال بأن يُنطقها ربُّ العزّة الذي أنطق كلَّ شيء. قال الزمخشري: ((فإن قلت: ما معنى تحديث الأرض والإيحاء لها؟ قلت: هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث بالنسيان حتى يظهر من يقول: مالها إلى تلك الأحوال؟ فيعلم لِمَ زلزلت؟ ولِمَ لفظت الأموات؟ وأن هذا ما كان الأنبياء ينذرونه، ويحذرون منه. وقيل: ينطقها على الحقيقة، وتخبر بما عُمل عليها من خير وشرّ، وروي عن رسول الله ﷺ: «تشهد على كلّ أحد بما عمل على ظهرها»[2]))[3].

ونرى هنا أنّه على الرغم من عظم الزلزلة وشدة وقعها لم يستعمل القرآن الكريم لفظة (أنباءها) فلم يقل: (تحدث أنباءها)، وإنما قال: (تحدث أخبارها)، وذلك لأنّ (النبأ) أهم من(الخبر) وأعظم، قال الراغب الأصفهاني:

(١) ينظر: النكت والعيون ٦/٣١٩-٣٢٠، والكشاف ٤/٧٧٥-٧٧٦، جامع الأحكام ٢٢/٤١٨-٤١٩، وفتح القدير ٥/٤٧٩.

(٢) هذا جزء من حديث رواه الترمذي في سننه (٣٣٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: «يومئذ تحدث أخبارها» قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّ أخبارها أن تشهد على كلّ عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها)).

(٣) الكشاف ٤/٧٧٥-٧٧٦.

((النبأ خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم، أو غلبة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة))[1].

ويقول أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي؛ ((ولذلك يستعمل القرآن (النبأ) لِما أعظم من الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ (النبأ: آية ١–٢)، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ (ص: آية ٦٧–٦٨)، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران: آية ٤٤).

أما الخبر فقد استعمله لِما هو دون ذلك... وقد تقول: لقد قال الله في سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة: ١–٤)، فقال: (تحدث أخبارها) و لم يقل: تحدث أنباءها، فدلّ على عظم الأخبار. فتقول: إنّ ما ذكره ههنا من أحداث الساعة هو من الأخبار بالنسبة إلى ما ذكره من الأحداث الأخرى. فقد ذكر ربُّنا في مواطن أخرى من القرآن من أحداث الساعة ما هو أعظم من زلزلة الأرض، فقد ذكر انفطار السماء وانشقاقها وأنها تصير كالمهل، وتكوير الشمس وانتثار الكواكب، وتفجير البحار وتسجيرها، وحمل الأرض والجبال ودكُّها دكَّة واحدة، ونسف الجبال حتى تكون هباءً منبثّا، وبعثرة ما في القبور وخروج الموتى سراعاً، وغير ذلك من الأحداث ممّا هو أعظم من الزلزلة وأشدُّ هَولاً. ثم إنّ الزلزلة مشهد متكرر في الأرض معروف، وإن كانت هذه الزلزلة أعظم منها جميعاً، وأنها لا تشابهها زلزلة، غير أنّ انفطار السماء وانشقاقها، وانتثار الكواكب، وتكوير الشمس وغير ذلك من أحداث الساعة

(١) المفردات ص٥٠٣.

وأهوالها غير معروف ولا مشاهد. فما ذكره في سورة الزلزلة إنّما هو من الأخبار بالنسبة إلى ما سيحدث ممّا يجعل الولدان شيبا.

فقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تخويف عظيم، وإشارة إلى هول ما سيحدث. فإذا كان هذا هو الخبر فكيف النبأ؟!))[1].

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾

الباء في قوله: (بأنّ) للسبب، وهي متعلقة بـــ(تحدّث)، أي: تحدّث بسبب إيحاء ربِّك إليها، وأمره إيّاها سبحانه وتعالى بالتحديث[2]. وقيل: الباء زائدة، وحينئذ تكون (أن) وما بعدها بدلاً من (أخبارها)[3]. وقيل: يجوز أن يكون (بأنّ ربَّك أوحى لها) بدلاً من (أخبارها) وأظهرت (الباء) في البدل لتوكيد تعدية الفعل (تحدث) إلى الباء على كون (أخبارها) انتصب على نزع الخافظ وهو(باء) التعدية، أي: تحدث بأَخبارها[4].

وقيل: يجوز أن تتعلق بأخبارها[5].

﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾

من معاني الوحي: الإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفيُّ، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك[6].

---

(١) من أسرار البيان القرآني- د. فاضل صالح السامرائي ص ٢٤١-٢٤٣.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ٥٧/٣٢، التبيان في إعراب القرآن ٤٧٣/٢، تفسير النسفي ٣٧٤/٤، وروح المعاني ٢٩/ ٢٥٢.

(٣) ينظر التبيان في إعراب القرآن ٤٧٣/٢، فتح القدير ٤١٦/٥.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٤٩٣/٣٠.

(٥) ينظر: فتح القدير ٤٧٩/٥.

(٦) لسان العرب مادة (وحى) ٤١٦/٦.

والمقصود بالإشارة، الإشارة السريعة، جاء في المفردات: ((أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمرٌ وحيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز، والتعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة))[1].

ويرى الزجاج أنّ ((معنى الوحي في اللغة على وجهين يرجعان إلى معنى الإعلام والإفهام))[2].

لذلك يرى أنّ الإلهام صار وحياً، وأنّ أوحى لها معناه: ألهمها[3].

وذكروا بأن (أوحى لها) فيه أوجه، وهي:

الأول: أوحى لها بأن ألهمها فأطاعت.

الثاني: أوحى لها، أي: قال لها.

الثالث: أوحى لها، أي: أَمرها[4].

الرابع: أوحى لها، أي: سخّرها[5].

والسياق، والحادثة، والمشهد كلّ أولئك يدلّل على أن هذه الأمور كلّها مرادة هنا، ليتساوى الحدث مع عظمة الزلزال.

ويلاحظ أنّ الفعل (أوحى) في هذه السورة تعدّى بـــ(اللام) أما في بقية المواضع التي ورد فيها في القرآن الكريم فقد جاء متعدياً بـــ(إلى)[6].

---

(١) المفردات ص ٥٣٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٧١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: النكت والعيون- للماوردي ٦/٣٢٠.

(٥) ينظر: جامع الاحكام ٢٢/٤٢٠.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٩١٤-٩١٥.

وقد ذكروا لهذا التعدّي بـــ(اللام) وجوها:

الأول: أنّ (أوحى لها) و(أوحى إليها) بمعنى واحد[1].

الثاني: أنّ (أوحى) ضمّن معنى (قال)، كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ (فصلت: ١١)، وإنما عدل عن الفعل (قال لها) إلى (أوحى لها) لأنها حكاية عن تكوين، لا عن قول لفظي[2].

الثالث: أنّ اللام هنا للتعليل، أو المنفعة، أي: فعلنا ذلك لأجل الأرض، لأنها بتحديثها بعمل العصاة يحصل لها تشفٍّ منهم بفضحها إياهم بذكر أعمالهم القبيحة، والموحى إليه هي أيضاً[3].

الرابع: إنّما عدّي باللام لرعاية الفواصل في السورة[4].

ونحن نرى -مع مَن يرى- أنّ تعدية الفعل (أوحى) هنا باللام لملحظ بياني هو الإيجاز في الكلام، واللمح إلى السرعة المتناهية بالإيحاء إلى الأرض بالتحديث، وذلك للتدليل على قدرة الله تعالى في مخلوقاته.

والإشارة إلى إرادة السّرعة في هذه السّورة متحقّق بثلاثة أشياء، وهي:

أحدها: ابتداء السّورة بالفعل المبني للمجهول وطيّ الفاعل. وفي ذلك إيجاز وسرعة في النطق.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٥٧/٣٢، التبيان في إعراب القرآن ٤٧٣/٢، روح المعـــاني ٢٥٢/٢٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٤٩٣/٣٠.

(٣) ينظر: التفسير الكبير ٥٧/٣٢، والبحر المحيط ٤٩٧/٨، وروح المعاني ٢٥٣/٢٩.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤٩٧/٨، وروح المعاني ٢٥٣/٢٩، وفتح القدير ٤٧٩/٥.

الثاني: استعمال الفعل (أوحى) الذي يدلّ على الإشارة، والأمر بسرعة وخفاء.

الثالث: تعدية الفعل بـ(اللام) من دون (إلى) للإيجاز والاختصار، لأنّ (إلى) تتكون من ثلاثة أحرف، و(اللام) حرف واحد. فهو أخصر وأوجز، فيتناسب هو والسرعة المطلوبة بالتحديث والله أعلم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾

(يومئذ): قسمٌ جعله بدلاً من قوله: (يومئذ تحدث أخبارها)، وآخرون قالوا: إنّه ظرف منصوب بقوله: (يصدر)، وبعضهم الآخر جعله مفعولاً به منصوباً بفعل مقدّر، تقديره: اذكر[1].

ومهما يكن من أمر هذه الأقوال ففي النفس ميلٌ إلى كونه ظرفاً منصوباً بالفعل (يصدر)، وإنّما قدّم على عامله لملحظ بياني، وهو الحصر والتوكيد على وقوع الأحداث المذكورة في السورة في هذا اليوم، لأنّه هو المقصود من الكلام الذي سيق لإثبات البعث والحشر، والتذكير بهما، والتحذير من أهوالهما. ففي حصول هذا اليوم لفت نظر الناس ليعلموا منه أنّ الزلزال كان إنذاراً لهذا الحشر العظيم[2].

﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾

يقال: صدر القوم عن المكان: إذا رجعوا عنه. وصدروا إلى المكان أي: صاروا إليه[3]. والوارد: الجائي، والصادر: المنصرف. وقال الليث: الصّدر:

---

(١) الدرّ المصون- ٦/٥٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٤٩٣.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (صدر) ٤/٢٢.

الانصراف عن الْوِرْدِ، وعن كلّ شيء[1]. وقيل الورد هنا: هو الدفن في القبور، والصّدر: هو القيام للبعث، وقيل: الورد: القيام للحشر، والصّدر: الانصراف إلى الجنة أو النار[2].

ويبدو -والله أعلم- أنّ القول الثاني هو الأظهر،لأنّ فيه يَعظم التفاوت بين أحوال الناس الذين عَرفوا منازلهم، فيظهر كونهم أشتاتا متفرقين[3].

ويلاحظ أنّ التعبير القرآني استعمل هذه اللفظة (يصدر) لتصوير خروج الناس من قبورهم إلى الحشر، وانصرافهم من المحشر إلى مأواهم من الجنة أو النار تشبيها لهم بورود الناس إلى الماء وصدورهم عنه. وهي صورة مألوفة لديهم، لأنها منتزعة من حياتهم اليومية، ومن بيئتهم التي عودتهم على هذا الأمر.

﴿أَشْتَاتًا﴾

الأشتات جمع شَتٍّ، بفتح الشين وتشديد التاء، والشَّتُّ: الأمر المتفرق[4]. وقيل: هو أشدُّ التفرقة[5]. والمعنى أنّهم يصدرون متفرقين بأشدّ ما تكون التفرقة.

وذكر المفسرون عن كيفية الصدور أقوالاً، منها:

- أنّهم يصدرون متفرقين، منهم من عمل صالحاً، ومنهم من عمل شرّا[6].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: جامع الأحكام ٢٢/٤٢٠-٤٢١، المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/٦٦٩، والتسهيل- لابن جزي ٢/٥٠٣.

(٣) ينظر: التسهيل لإبن جزي ٢/٥٠٣.

(٤) ينظر: مادة (شتت) في الصحاح- للجوهري ١/٢٥٤، ولسان العرب ٣/٣٩٤.

(٥) ينظر: تفسير القرآن- للسمعاني ٦/٢٦٨.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه- للزجاج ٥/٢٦٨.

– أنّهم يصدرون أشتاتاً عن موقف الحساب، فريق يأخذ جهة اليمين إلى الجنة، وفريق يأخذ جهة الشمال إلى النار[1].

– وقيل: يرجعون عن الحساب بعد فراغهم منه أشتاتا، أي: فرقاً فرقاً[2].

– وعن ابن عباس رضي الله عنه أنّه يقول: أشتاتاً: أي: متفرقين على قدر أعمالهم ن أهل الإيمان على حدة، وأهل كلّ دين على حدة[3].

– إنهم يصدرون أشتاتاً بيض الوجوه آمنين، وسود الوجوه فَزعين، ويتفرق بهم طريقا الجنة والنار[4].

– وعن بعض السلف أنهم متفرقون إلى سعيد وأسعد، وشقي وأشقى. وقيل: إلى مؤمن وكافر[5].

– وجُوِّز أن يكون المراد: كلٌّ واحد وحده لا ناصر له، ولا عاضد، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾[6].

وأيّا ما كان حال الصدور، فالمشهد مفزع، رهيب، لا تَدرك تصويره العقول، ولا يمكن أن يعبر عنه البيان مهما ملك من مخزون لغويّ ذخراً، وأوتي من سَعة الخيال قدراً.

يقول سيد قطب –رحمه الله– عن هذا المشهد العظيم: ((وفي لمحة ترى

---

(١) ينظر: جامع الأحكام– للقرطبي ٢٢/٤٢٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر المصدر نفسه، وروح المعاني ٢٩/٢٥٦.

(٤) ينظر: تفسير النسفي ٤/٣٧٢، والدر المصون ٦/٥٥٥.

(٥) ينظر: روح المعاني ٢٩/٢٥٦.

(٦) الأنعام، آية ٩٤.

مشهد القيام من القبور: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾... نرى مشهدهم شتّيتا منبعثا من أرجاء الأرض: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[1]. وهو مشهد لا عهدَ للإنسان به كذلك من قبلُ، مشهد الخلائق في أجيالها جميعا تنبعث من هنا وهناك: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ (ق: آية ٤٤) وحيثما امتد البصر، رأى شبحاً ينبعث، ثم ينطلق مسرعاً! لا يلوي على شيء ولا ينظر وراءه، ولا حواليه: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ (القمر: آية ٨) ممدودة رقابهم، شاخصة أبصارهم (عبس: آية ٣٧).

إنّه مشهد لا تعبر عن صفته لغة البشر، هائل، مروّع، مرعب، مذهل... كلٌّ أولئك وسائر ما في المعجم من أمثالها لا تبلغ من وصف هذا المشهد شيئا ممّا يبلغه إرسال الخيال قليلا يتملاه بقدر ما يملك وفي حدود ما يطيق))[2].

﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾

أي: ليروا جزاء أعمالهم. فالكلام على حذف مضاف. وإنما بُني الفعل (لِيُروا) للمجهول لأنّ المقصود رؤية الأعمال وجزائها لاتعيين من يُريهم إياها[3].

وفي تعلّق قوله: (ليروا) قولان:

أحدهما: أنّه متعلق بقوله: (يصدر).

والآخر: أنّه متعلق بـــ(أوحى لها).

والمعنى على الأول -وهو الأظهر والله أعلم- أنّ الناس بعد فراغهم من

---

(١) القمر، آية ٧.

(٢) في ظلال القرآن ٣٩٩٥/٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٤٩٤/٣٠.

الحساب، وانتهاء كلّ شيء يتعلق به يصدرون عن موقف الحساب بهذه الصورة من التّشتت والتّفرق ليرى كلٌّ فريق جزاء أعمالهم الذي وُعدوا به في الحياة الدنيا، ويتعرفوا درجات منازلهم في الجنة، ودركاتها في النار.

والرؤية بصرية، أي: ليبصروا بأعينهم ثواب أعمالهم خيرا أو شرّا. والرؤية متعدية إلى مفعول واحد، وتعدّى بالهمزة إلى مفعول ثان، أي: لُيرِيَهم الله أعمالهم. اللهم إلاّ أن تحمل على المجاز، أي: أنّه تجوّزٌ بالأعمال عمّا يتسبب عنها من المجاز، وقد قدّر بعضهم: (كُتُب) أو صحائف[1].

أمّا على القول الثاني، أي: أن (ليروا) متعلق بـــ(أوحى لها) ففيه تقديم وتأخير، وتقدير الكلام: تحدث أخبارها بأنّ ربّك أوحى لها ليوروا أعمالهم، ويكون حينئذ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ جملة معترضة[2].

وعلى كلا القولين المشهد عظيم، فيه شدّة مواجهة وتحديد مصير ((ومواجهة الإنسان لعمله قد تكون أحياناً أقسى من كلّ جزاء، وإنّ من عمله ما يهرب من مواجهته بينه وبين نفسه، ويشيح بوجهه عنه لبشاعته حين يتمثل له في نوبة من نوبات النوم ولذع الضمير. فكيف به وهو يواجه بعمله على رؤوس الأشهاد في حضرة الجليل العظيم المتكبر؟!))[3].

والقراءة المشهورة (لِيُرَوا) بضمّ الياء، أي: بالبناء للمجهول، التقدير: ليريهم الله أعمالهم. وقرأ الحسن والأعرج والزهري ونافع في رواية، وآخرون:

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب- لابن عادل ٤٤٩/٢٠، ورو البيان- للبروسوي ٤٤٩/١٠، وروح المعاني ٢٥٦/٢٩.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٦٨٨/٨-٦٨٩، جامع الحكام ٤٢١/٢٢، وروح المعاني ٢٥٧/٢٩.

(٣) في ظلال القرآن ٣٩٥٥/٦.

(لِيَرَوا) بفتح الياء، بالبناء للفاعل[1].

أي: ليرى الناس جزاء أعمالهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾

وهاتان الآيتان الكريمتان تفصيل لقوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وهو مَثَلٌ ضربه الله عزّ وجل لِيُعلِمَ الإنسان أنّ خالقه سبحانه وتعالى الذي خلقه وسوّاه لا يغفل من عمل ابن آدم شيئا مهما صغُر، أو كبُر[2]، وأنّه تعالى لا يعزبُ عنه من مثقال ذرّة من أعمال خلقه، بل أحصى كلَّ شيء عددا، فيجازيهم به إنْ خيراً أو شرّاً.

والمثقال من: الثِقْل، وهو وزنٌ يعرف به ثِقْل الشيء الدقيق.

والذرّة عَلَم في القلّة، وقيل هي:

- نملة صغيرة، رقيقة، وهي أصغرُ ما يكون في النمل[3].
- أو ما لصِق من التراب باليد[4].
- وهناك من يقول: إنّ الذرّ ما يُرَى في شعاع الشمس في الهباء[5].

وأيّا ما كان صغَرُ الذرّة ووزنها من هذه الأقوال فمفهومها واضح يدلُّ على شيء يكاد يكون منعدم الوزن.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٦٦٩/٨، والبحر المحيط ٥٠١/٨، وجامع الأحكام ٤٢١/٢٢.

(٢) ينظر: جامع الأحكام.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط- للواحدي٤٤٣/٤، وروح المعاني ٢٧٥/٢٩.

(٤) ينظر: جامع الأحكام٤٢٢/٢٢، لباب التأويل ٤٥٩/٤، وروح المعاني ٢٥٧/٢٩.

(٥) ينظر: روح المغاني ٢٩/ ٢٥٧.

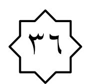
وهذا التصوّر للذرّة في منظور المفسرين القدامى الذين لا يملكون في رصد الأشياء المتناهية الصّغر إلا العين المجرّدة. فكيف يكون تصوّرها في منظور العلم الحديث الذي توصّل إلى صناعة أعظم المجاهر وأدقها التي تستطيع ان ترصد ما لا يتصوره عقل البشر. وعلى الرغم من ذلك لم تستطع أن تصوّر لنا بدقة وبجزم حجم الذرّة ووزنها ((إنما هي «رؤيا» في ضمير العلماء لم يسبق لواحد منهم أن رآها بعينه المجرّدة ولا بمجهره، وكلّ ما رآه هو آثارها))(١).

وكلّ الذي قيل من تصورات للذرّة، وكلّ الذي يقال في تقدير حجمها ووزنها تتجلّى فيه قدرة القويّ العزيز الذي لا يعزبُ عنه في السماوات والأرض ما هو أصغرُ من الذرّة ولا أكبر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ (يونس: ٦١) ليجزي فيه صاحبه، فمن يعمل مقدار مثقال ذرّة خيراً في الدنيا يَرَهُ يوم البعث مسجل في كتابه فيفرح به، ومن يعمل مثل ذلك شرّاً في الدنيا يرَهُ يوم القيامة في كتابه، فيخزيه ذلك ويسوءه. سبحان الله الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

والمراد بالعمل مطلقه، أي: مطلق ما يكون من الإنسان من حركة بالفعل، وباللسان، وبالقلب، وبالنيّة، وبغير ذلك.

ويلاحظ أنّ التعبير القرآني قدّم عمل الخير على عمل الشّر، فقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾. وذلك لأنّ عمل الخير هو الأصل في الإنسان، لكونه محبوباً،

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٩٥٦.



وفيه شرفٌ ورفعةٌ ونفعٌ للناس. قال الآلوسي رحمه الله: ((وتقديم عمل الخير لأنّه أشرف القسمين، والمقصود بالأصالة لا يخفى حُسْنُ موقعه، ويعلم منه أنّ هذا الإحصاء لا ينافي كرمه عزّ وجل))[1].

وانتصاب (خيراً) و(شرّاً) على التمييز، لأنّ (مثقال ذرّة) مقدار. وقيل: منتصب على البدلية من (مثقال)[2].

وقرأ الحسين بن علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وزيد بن علي، وأبان عن عاصم، والكسائي في رواية حميد بن الربيع عنه، وآخرون (يُرَه) بضمّ الياء في الموضعين[3]. والمعنى يُريه الله إيّاه، أي: ثواب عمله وجزاءه والله أعلم.

وفي نهاية المطاف حريٌّ بنا أن نعيد إلى الأذهان أنّ هذه السّورة المباركة شأنها شأن بقيّة السور الكريمة أنّ آياتها رُكّبت تركيبا دقيقا محكما، ورُتّبت ترتيباً بديعاً على وفق التسلسل المنطقي -إن صحّ التعبير- إذ إنّها بدأت بوقوع الزلزلة، ثمّ ذكر ما ترتب على وقوعها من إخراج الأرض أثقالها، وتساؤل الناس بدهشة وحيرة وتعجب عن سبب ذلك، ثمّ ذكر تحديث الأرض عمّا وقع عليها من أعمال، وبيان أنّ هذا الذي حصل هو بأمر الله سبحانه وتعالى، ثمّ الانتقال إلى مواجهة الناس أعمالهم، وليأخذ كلُّ إنسان جزاءه العادل عن أعماله في الدنيا.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (يونس:٣٢).

---

(١) روح المعاني ٢٩/٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٨/٦٧٠، البحر المحيط ٨/٥٠٢، وجامع الأحكام ٢٢/٤٢٣.

ثبت المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن- جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) ط١، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- أسباب نزول القرآن- للواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، دار الإصلاح، الدمام ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- الإكليل في استنباط التتريل- جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر. ط١، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- أنور التتريل وأسرار التأويل- للقاضي للبيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) دار الكتب العلمية- بيروت ٢٠١١م.

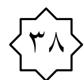
- البحر المحيط- أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط٢، دار الكتب- بيروت ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

- التبيان في إعراب القرآن- أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦هـ) تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط٢، دار الكتب العالمية- بيروت ٢٠١٠م.

- التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور، الناشر دار سحنون- تونس.

- تفسير القرآن- أبو المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ط١، دار الوطن- الرياض- السعودية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)- للإمام فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٤هـ) ط٢، دار الكتب العالمية- بيروت- ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.



- تفسير النسفي (مدارك التتريل وحقائق التأويل- أبو البركات عبد الله بن محمود النسفي) (ت:٧١٠هـــ) دار احياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.
- تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد- أبو الحسن الواحدي (ت: ٤٨٦هـــ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العالمية- بيروت ١٤١٥هـــ-١٩٩٤م.
- جامع البيان في تأويل القرآن- ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـــ) ط٤، دار الكتب العالمية- بيروت ١٤٢٦هـــ-٢٠٠٥م.
- الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله أحمد بن محمد القرطبي، (ت: ٦٧١هـــ) تحقيق: د. عبد الله التركي وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة- ١٤٢٧هـــ-٢٠٠٦م.
- الجنى الداني في حروف المعاني- ابن أمّ قاسم المرادي، (ت: ٧٤٩هـــ) تحقيق: طه محسن- مؤسسة دار الكتب- الموصل ١٩٧٦م.
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون- للسمين الحلبي، (ت: ٧٥٦) تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، ط١، دار الكتب العالمية- بيروت ١٤١٤هـــ-١٩٩٤م.
- دروس في أصوات العربية- جان كانتينو، تعريب صالح القرضاوي- تونس ١٩٦٦م.
- روح المعاني- إسماعيل حقي البرسوي (ت: ١١٣٧هـــ) مصر (د.ت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- لأبي الثناء الألوسي (ت ١٢٧٠هـــ) ج/٢٩ تحقيق: ماهر حبوش وادريس الجنابي١، مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـــ-٢٠١٠م.

- سر صناعة الإعراب- ابن جنّي (ت ٣٩٢هـــ) تحقيق: مصطفى السقّا وآخرين ١٩٥٤م.
-شرح كتاب سيبويه- لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـــ) مخطوط مصور في جامعة الإمام محمد بن سعود برقم (٨٨٦٣ ف).
- شرح المفصل- موفق الدين بن يعيش (ت٦٤٣هـــ) المطبعة المنيرية- مصر (د.ت).
- سنن الترمذي شرح تحفة الأحوذي- محمد بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ط ٢، القاهرة ١٣٨٧هـــ-١٩٦٧م.
- الصحاح- إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٥هـــ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط٣، دار العلم للملايين- بيروت ١٤٠٤هـــ-١٩٨٤م.
- علم الأصوات اللغوية- د. مناف مهدي محمد، ط٢، عالم الكتب- بيروت ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م.
- علم اللغة- د. محمود السعران، دار المعارف- مصر ١٩٦٢م.
- فتح القدير- محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـــ) دار إحياء التراث العربي- بيروت (د.ت).
- في ظلال القرآن- سيد قطب، ط٣٤، دار الشروق ١٤٢٥هـــ-٢٠٠٤م.
- القاموس المحيط- مجد الدين الفيروز آبادي (ت٨١٧هـــ) رتبه ووثقه خليل مأمون شيحا، ط ٢، دار المعارف- بيروت ١٤٢٨هـــ-٢٠٠٧م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـــ) ط٤، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٧هـــ-٢٠٠٦م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل- علاء الدين الخازن (ت ٧٤هـــ) تحقيق: محمد علي شاهين. ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٥هـــ.

- اللباب في علوم الكتاب- ابن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٩-١٩٩٨م.
- لسان العرب- ابن منظور (٧١١هـ) دار صادر بيروت ١٩٦٨م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ) تحقيق: إبراهيم الأنصاري وآخرين، ط٢ مطبعة وزارة الأوقاف القطرية- الدوحة ١٤٢٨-٢٠٠٧م.
- معاني القرآن وإعرابه- أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ط١، عالم الكتب- بيروت ١٤٠٨-١٩٨٨م.
- معاني النحو- د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي، الموصل ١٩٨٩-١٩٩١م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت ١٩٨٧م.
- المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ضبط هيثم طعيمي. ط١، دهر إحياء التراث العربي، لبنان ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- من أسرار البيان القرآني- د. فاضل صالح السامرائي. دار عمار- بيروت.
- نظرات لغوية في القرآن الكريم-د. صالح حسين العايد. ط٢، دار إشبيليا- الرياض ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- النكت والعيون (تفسير الماوردي)- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ) مراجعة عبد المقصود بن عبد المنعم، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.


سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾.

❑ بين يَدَي السُّورة:

١- تسميتها ومكان نزولها:

سورة القارعة مكيّة بلا خلاف[1]، واتفقت المصاحف والتفاسير وكتب السنة على تسميتها ((سورة القارعة)) ولم ترو لنا المصادر شيئاً في تسميتها من كلام الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم[2]، ولعله سمّيت بذلك لذكر لفظ القارعة فيها[3] والله اعلم.

٢- ترتيبها وعدد آيها:

عُدّت سورة القارعة الثلاثين في عداد نزول سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة ((قريش)) وقبل سورة ((القيامة))[4].

---

(١) ينظر: الجامع لإحكام القرآن ٤٤٢/٢٢، زاد المسير ٢١٣/٩، المحرر الوجيز ٥٥٢/١٥، فتح القدير ٥١١/٥، الدر المنثور ٥٥٢/٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٥٠٩/٣٠.

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان ٢٦٦/٢٢.

(٤) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان ٢٦٦/٢٢، التحرير والتنوير ٥٠٩/٣٠

واختلف في عدد آيها، فهي في عدِّ أهل مكة والمدينة عشر آيات، وفي عدِّ أهل الشام والبصرة ثماني آيات، وفي عدِّ أهل الكوفة إحدى عشرة آية[1].

٣- مناسبة السورة لما قبلها:

إنَّ سورة ((العاديات)) التي تسبق سورة ((القارعة)) قد انتهت بوصف يوم القيامة من بعثرة ما في القبور، وتحصيل ما في الصدور، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ العاديات: ٩-١٠.

وبينت أن وراءهم حساباً دقيقاً عادلاً فيه مجازاة الناس على أعمالهم وما كسبت أيديهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ العاديات ١١.

فلما كانت هذه الأمور كلُّها تدلُّ على البعث ذكر صيحته، فقال: ((القارعة) وصوَّر أحوال الناس، ثم ذكر مآلهم بعد الحساب وقسمهم على قسمين ناج وهالك.

فقال: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ ... الخ.

٤- هدف السورة ومحورها:

ونحن نتحدث عن هدف سورة القارعة، وهي من السور المكية قمين بنا أن نشير إلى أنّ أهم أهداف السور المكية هو عرض أسس العقيدة الإسلامية المتمثلة بالإلوهية، والرسالة، والبعث بعد الموت، والدعوة إلى فضائل الأخلاق ومكارمها.

وسورة القارعة تعرض أهم الأحداث التي تجري يوم القيامة، وتذكر الحساب العادل الذي يجري فيه، والذي يتمخض عنه مآل الْخَلْقِ وبيان

---

(١) المصدران أنفسهما.

منزلتهم. وكل ذلك يجري بقدرة الخالق العظيم على خلقه، كما أنها تضمَّنت ممّا عرضته الدعوة الى عبادة الله سبحانه وتعالى، وتوحيده، وعدم الإشراك به، والسير في الطريق المستقيم، والوصول الى منتهاه حيث ((العيشة الراضية)).

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾

أُفْتُتِحت هذه السورة الكريمة بقوله عزّ وجل ((القارعة)) وهو افتتاحٌ مرعِبٌ مهولٌ، حقَّقه جرس هذه اللفظة وتناسق أصواتها اللذان يدلان على وقوع أمر شديد عظيم.

فمعظم باب القاف والرَّاء والعين يدلُّ على الضَّرب[1].

والقرع: هو الضَّرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوتٌ شديدٌ[2].

وعلى الرغم من وضوح شيء من المقصود العام لهذه اللفظة يبقى الإبهام المرعب المهول قائماً فيها. إذ إن الصيغة اسم فاعل، واسم الفاعل يدل على الحدث ومَن وقع منه أو اتصف به، لكنها ((القارعة)) أُلقيت بلا خبر، ولا صفة توضحها، ولا تَمْييز يرفع إبهامها لتلقي بظلّها وجرسها الإيحاء المدوّي المرهوب[3].

إنّ القارعة في مفهوم الناس هي الحادثة العظيمة، أو النازلة الشديدة من شدائد الدهر، أو الداهية، وسميت بالقارعة، لأنها تقرع الناس، أي تضربهم بشدتها[4].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥/٧٢.

(٢) ينظر تفسير ابي السعود ٥/٨٩٧.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ٦/٣٩٦٠، ومشاهد القيامة في القرآن ص٦٥.

(٤) ينظر: مادة (قرع) في معجم مقاييس اللغة ٥/٧٢، والصحاح، ولسان العرب.

((والعرب تقول: قَرَعَتْهُمُ القارعة، إذا وقع بهم أمرٌ فظيع.

قال ابن احمر:

وقارعـــة مـــن الأيـــام لـــولا سبيلُهم لراحَتْ عنـــك حِينـــا

وقال آخر:

متى نَقْرَع بمرؤتكم نَـــسُؤْكُم ولم يُوقَد لنا في القِدْر نارٌ))[1]

أما المقصود بها هنا فقد اختلف المفسرون في بيانه. فذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ ((القارعة)) اسم من أسماء القيامة كالواقعة، والطامة، والحاقّة، والصاخّة، والغاشية[2].

وقيل: هي الساعة التي يقرعُ قلوبَ الناسِ هولُها، وعظيم ما يترل من البلاء عندها[3].

وقيل: هي صوت النفخة في الصُّور[4].

وعن الضحاك أن القارعةَ هي النار ذات الزفير، وكأنّه يريد انها اسم جهنم[5].

ونحن نرى أن ((القارعة)) هنا مرحلة من المراحل، أو فصل من الفصول التي تقع يوم القيامة، وليست هي القيامة، لانَّ القرآن الكريم ذَكَر لنا فصولاً

---

(١) فتح القدير ٥١١/٥.

(٢) ينظر: جامع البيان ٦٧٥/٣٠، معاني القرآن واعرابه ٢٧١/٥، اعراب ثلاثين ســـورة من القرآن الكريم ص١٧٢، جامع الاحكام ٢٤٢/٢٢، فتح القـــدير ٥١١/٥، روح المعاني ٤٤٧/٣٠، التحرير والتنوير ٥١٠/٣٠، في ظلال القرآن ٣٩٦١/٦.

(٣) ينظر: جامع البيان ٦٧٥/٣٠.

(٤) ينظر: روح المعاني ٤٤٧/٣٠، والتحرير والتنوير ٥١٠/٣.

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٥١٠/٣.

عديدة، ومشاهد كثيرة تقع في هذا اليوم العظيم. وما ذكر في هذه السورة يمثل صوراً لبعض تلك المشاهد وليس لكلّها. ولعلّ ما يراد بالقارعة هو بداية هذا اليوم العظيم الذي يبدأ بالقرع الشديد الذي يفزع الخلائق بأهواله، وهو فوق التصور والإدراك. والله اعلم.

وكما اختلف المفسرون في مفهوم القارعة اختلفوا في إعرابها أيضا.

فذهب جمهورهم إلى أنّ ((القارعة)) رفع بالابتداء، وخبرها قوله: ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ والرابط تكرار المبتدأ بلفظه[1]، والمعنى: القارعة شئٌ عظيمٌ هي. وهذا يكون على أنّ الآية الأولى تنتهي عند قوله: ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾.

وقال آخرون: ((القارعة)) مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير القارعة قريبة أو ما بمعناها.

وهذا يجرى على أن القارعة الأولى آية مستقلة بنفسها[2].

وذهب آخرون إلى أنّ ((القارعة)) فاعل فعل محذوف، والتقدير أتت، أو: ستأتيكم القارعة عل ما اخبر عنه في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[3] ويكون قوله: ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ استئنافاً للتهويل، وجعلت آية ثانية عند أهل الكوفة[4].

---

(١) ينظر: اعراب ثلاثين سورة ص١٧٢، البحر المحيط ٥٠٣/٨، الدر المصون ٥٦٣/٦، التفسير الكبير ٦٨/٣٢، و فتح القدير ٥١١/٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٥١٠/٣٠

(٣) ينظر: التفسير الكبير ٦٨/٣٢، والتحرير والتنوير ٥١٠/٣٠.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٥١٠/٣٠.

وهناك توجيه بياني في إعراب ((القارعة)) أثاره عدّها آية في هذه السورة، أي: وقوع المفرد غير المخبر عنه آية مستقلة مثل ((الرحمن)) و((الحاقة)) خلاف ما عليه النظم الحكيم فضلاً عن القواعد النحوية واللغوية – ((وهو ان وضعها في النظم آية مستقلة يوحي بأنّ هذه الكلمة ونظيرتها، سادة مسد الجملة، من حيث المعنى. يعني هي مبتدأ خبره فيه، أو خبر مبتدؤه فيه، أي: هي من الكلمات التي يُكتفى بها –لفخامة معناها– فلا تحتاج إلى ما تُضَمُّ هي إليه، أو يُضَمُّ هو إليها. وهذا من عناصر التفخيم المقصود من الاستفهام الذي بعدها))[1].

أي: أنها من الكلمات التي يراد فهمها في نفسها ولفت الأنظار إليها، يعني أنها لفخامة شأنها لا تحتاج إلى خبر.

وكون القارعة مبتدأ هو الأرجح والأنسب، لأنها جملة اسمية تدل على الثبوت والتوكيد. فوقوعها ثابت مؤكد لا ريب فيه ولا عنه محيص.

وفي الرفع معنى التحذير أيضاً: ((قال الزجاج: والعرب تحذر وتغري بالرفع، كالنصب، وأنشد قول الشاعر:

لجـــــديرون بالوفـــــاء إذا قـــــا

لَ أخو النَّحدةِ: السلاحُ السّلاحُ))[2]

ويدل على ذلك –أعني التحذير بالرفع– قراءة عيسى ﴿ٱلْقَـارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ بالنصب على التحذير، بإضمار فعل، أي: احذروا القارعة.

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ٤/٣٨٥.

(٢) الدر المصون ٦/٥٦٣، فتح القدير ٥/٥١١، حدائق الروح والريحان ٢٢/٢٦٨.

وعلى هذه القراءة تكون (ما) في قوله: ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ زائدة للتوكيد، والقارعة الثانية توكيد لفظي للقارعة الأولى[1].

ويبدو لي أنّ في استعمال لفظ ((القارعة)) ملحظاً بيانياً بديعاً، ففضلا عمّا أوحته من وقوع جوٍّ نفسي مخيف جسّدَت في مقاطع مادهّا الصوتية مترلة الفريقين اللذين تحدثت عنهما السورة الكريمة، وهما فريق المؤمنين، وفريق الكافرين. فالمقطع الأول الطويل المفتوح ((قا)) تَكوَّن من صوت القاف، وهو صوت لهوي شديد له قيمة تفخيمية[2]، ومن المُصَوّت الطويل، وهو الألف اللينة التي زادت القاف شدة وتفخيما. والمقاطع الصوتية الطويلة المفتوحة ترسل الصوت في امتداد متسع. فلو نطقت هذا المقطع الصوتي ((قا)) لوجدته يدل على الاتساع والعلوِّ والارتفاع التي تدل على المكانة السَّامية العالية التي سيتبؤها الفريق الأول. وهل هناك أعظم مترلة، وارفع مكانة ممّن ينال عيشة راضية في دار القرار قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾.

وأما المقطعان الصوتيان اللذان يتلوان هذا المقطع فهما مقطعان قصيران (رِعَ) تَكَوَّن الأول من صوت ((الراء)) والمصوت القصير الكسرة، وتكوَّن الثاني من صوت ((العين)) والمصوت القصير الفتحة. والراء حرف مهموس مرقق، والعين صوت حلقي رخو مرقَّق. ولو نَطَقْتَ هذين المقطعين الصوتيين بعد المقطع الأول ((قارِعَ)) لأَحْسَسْتَ بالانحدار والخفَّة، والانخفاض السريع التي تُجَسّد مترلة الفريق الثاني من الضعف والتسفل والعمق والذلة. وهل

(١) ينظر البحر المحيط ٥٠٣/٨، والدر المصون ٥٦٣/٦.

(٢) ينظر: علم الاصوات اللغوية– د. مناف مهدي ص٨٣.

هناك أخسُّ منزلة وأحطُّ مكانة من الهاوية؟

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ وهي النار ذات العمق السحيق.

وإذا وقفنا على الحرف الأخير من ((القارعة)) زاد الأمر وضوحا في الانتهاء من الحكم الفصل بين منزلة الفريقين.

قوله: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾

أول استفهام في السورة يفرِّغ في السَّمع شحنةً هائلة من التعجيب والتهويل وغرابة الشأن[1]. لان ((القارعة)) تفوق الوصف والإدراك في عظم شأنها، وجليل سلطانها، وقد زاد ذلك التعجيب والتهويل والغرابة تكرار لفظ ((القارعة)) لما فيه من الترويع والتهويل، ومبالغة الإبهام.

وقصد المبالغة يستلزم في الغالب الإيجاز إما بالحذف، وإما بجعل الشيء نفس الشيء، او بتكرار لفظ يفهم بتكراره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف وذكر أهوال[2]. لذا جاء التعبير ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وكان حقه: القارعة ما هي؟ فعدل عن ذلك فوضع المُظْهَر موضع المضمر ليتحقق المعنى المقصود، والغرض المراد من تأكيد تهويلها وتفخيم شأنها.

وهذا مسلك العرب في كلامها، فإذا قصدوا الاهتمام والاعتناء والتهويل والاستعظام كرروا، كقول الخنساء في رثاء صخر[3]:

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ٤/٢٩٥، ٣٨٥.

(٢) ينظر: ملاك التأويل ١/٣١٥.

(٣) الديوان ص٤٢-٤٣.

إنّ صخراً لَوَالينا وسيّدنا وإنّ صخراً إذا نَشْتوا لَنحّارُ

وإنّ صخراً لِمقدامٌ إذا رَكِبوا وإنّ صخراً إذا جاعوا لعقّارً

وإنّ صخراً لتأتَمُّ الهداةُ به كأنّه علمٌ في رأسه نارُ

وكقول سوادة بن عدي[1]:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ نغَّص الموتُ ذا الغنا والفقيرا

والقرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب وعلى وفق أساليبهم كثيراً ما استعمل هذا اللون من التعبير

كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ الحاقة: ١-٢ وقوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ القارعة: ١-٢ وقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ النبأ: ٤-٥.

جاء في ملاك التأويل: ((إن العرب متى همّمت بشيء أرادته لتحققه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكرارها مكان القسم عليه، والاجتهاد في الدعاء عليه حيث يقصد الدعاء وإنما نزل القرآن بلسانهم وكأن مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض. وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة))[2].

وملحظ بياني آخر في هذا الاستفهام، وهو أنّ الآية الكريمة استفهمت بـ (ما) من بين سائر ادوات الاستفهام، فقال: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ القارعة: ٢-٣ وذلك لأنّ (ما) الاستفهامية تستعمل إذا أريد بإبهامها

---

(١) ينظر: كتاب سيبويه ١/٤٢، وآمالي ابن الشجري ١/٢٨٥.

(٢) ملاك التاويل ٢/٥٠٠.

تعظيم الأمر وتفخيمه فأحرزت لإبهامها هنا من عظيم أمر ((القارعة)) ما لا يفي به الوصف، والإبهام مقصود في التعظيم والتفخيم المعبَّر بها عنه[1].

وجمهور المفسرين يعربون (ما) الاستفهامية مبتدأ ثانيا، و((القارعة)) خبره[2]. والرابط تكرار المبتدأ بلفظه.

ويرى العلامة أبو السعود العكس في هذا الإعراب، أي: أن (ما) خبر و((القارعة)) مبتدأ، لان الخبر هو محط الفائدة، وهو مدار الكلام ومناطه، يقول: ((وهي مبتدأ -أي القارعة- خبره قوله تعالى: ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ على أن ((ما)) الاستفهامية خبر، والقارعة مبتدأ، لا بالعكس لما مرَّ غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ، ولا ريب في أنّ مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ((ما))، لا القارعة، أي: أيُّ شيء عجيب هي، في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل))[3].

وما ذهب إليه هو الصحيح عندنا، لأنّ السؤال عن حقيقة القارعة وكُنْهِهَا، لا عنها. فالخبر مجهول و هو المطلوب بيانه.

قوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ استفهام إنكار، وتجهيل، وتعجيب تأكيد لشدّة هولها، ومزيد فظاعتها. وإعلام للنبي ((ﷺ)) وللخلق جميعهم، بأنه مهما خطر على بال أحد منكم، أو يخطر فهي أعظم منه، فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ أي: أيّ شيء أعلمك بها او يعرِّفُكَ بها؟ فهي أعظم من أن يحيط بها علم عالم

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ٩٩١/٢.

(٢) ينظر: اعراب ثلاثين سورة ص١٧٣، كشف المشكلات ١٤٧٦/٢، البحر المحيط ٥٠٣/٨ وفتح القدير ٥١١/٥.

(٣) ارشاد العقل السليم ٨٩٨/٥.

سوى الله تعالى مهما تُخيِّل أمرها، وَحُدس شأنها فهي اكبر وا عظم من أن تقدّر أو تدرك.

وأعربوا (ما) الاستفهامية مبتدأ، وجملة (أدراك) في محل رفع خبر (ما). وجملة ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ من المبتدأ والخبر في محل نصب سدّت مسد مفعولي (ادرى) وقيل محلُّها النصب على نزع الخافض، لان ادري يتعدى الى المفعول الثاني بالباء(1). كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يونس: ١٦.

وذهب قطرب بن المستنير تلميذ سيبويه الى أنّ قوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ خبر للقارعة المبتدأ بها السورة. ويرد عليه أنّ الفائدة لم تحصل بهذا الخبر مع المبتدأ. فكيف يكون المجهول خبراً؟ وقد أجاب الرازي على هذا بقوله: ((وعلى قول قطرب الخبر ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ فإن قيل: إذا أخبرت عن شيء بشيء فلا بد وأن تستفيد منه علماً زائداً، وقوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ يفيد كونه جاهلا به، فكيف يعقل ان يكون هذا خبراً؟

قلنا: قد حصل لنا بهذا الخبر عِلْمٌ زائد، لانّا كُنّا نظنُّ أنها قارعة كسائر القوارع، فبهذا التجهيل علمنا انها قارعة فاقت القوارع في الهول والشدّة))(2).

وهذا التهويل البياني يدفعنا أن نقول: ليس بعده بيان تهويل. وهذا هو الإعجاز في أجلى صوره، فليس في مقدرة احد مهما أوتي من قوة بيان أن يصور أهوال القيامة بأسلوب ابلغ من هذا الأسلوب، أو مساوٍ له(3).

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ٨٩٨/٥، وحاشية الصبان على شرح الاشموني ٢٣/٢.

(٢) التفسير الكبير ٦٨/٣٢.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ٣٨٥/٤.

قوله: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾

بعد: إلقاء الخبر بهذا الإيحاء التعجيبي المبهم المفزع الذي يتضمن التهديد: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ صارت نفوس السامعين هالعة، وأفئدتهم خالعة، فأصاخوا لانتظار الإجابة عن ماهية القارعة التي أُخبروا عنها بالتجهيل والتهويل، لأن هول الشيء يستلزم تساؤل الناس عنه ومعرفة كنهه. لكن الجواب لم يفصح عن ماهيتها، وإنما بَيَّن وقتها وما يحدث فيه.

لأن إدراك حقيقتها فوق حيز التصور والتقدير. فهي ليست كقوارع الدنيا ((قوارع الدنيا بِجَنْبِ تلك القارعة كأنها ليست بقوارع))[1].

و((يوم)) منصوب على الظرفية، واختلف في ناصبه على أقوال:

الأول: إنه منصوب بمضمر دلّت عليه القارعة، أي: تقرع يوم يكون الناس، وهذا قول الزمخشري[2].

الثاني: إنه منصوب بفعل مقدّر، أي: تأتي يوم يكون، وهو قول الحوفي[3].

الثالث: انه منصوب بالقارعة، وهو قول ابن عطية[4]، وأبي البقاء[5]، ومكي[6].

(١) التفسير الكبير ٣٢/٦٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٤/١٣٧٣.

(٣) ينظر البحر المحيط ٨/٥٠٤، إرشاد العقل السليم ٥/٨٩٨، وفتح القدير ٥/٥١٢.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ١٥/٥٥٣.

(٥) ينظر: ينظر التبيان في إعراب القرآن ٢/٢٩٣

(٦) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/٣٧٤.

وقد تعقب أبو حيان هذا القول، فقال: ((فإن كان -يعني ابن عطية- عنى بالقارعة اللفظ الأول فلا يجوز، الفصل بين العامل وهو في صلة أل والمعمول بالخبر، وكذا لو صار القارعة علماً للقيامة لا يجوز أيضاً. وإن كان عنى باللفظ الثاني أو الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه))[1].

الرابع: أن الناصب له فعل مقدّر رافع للقارعة الأولى.

كأنه قيل: تأتي القارعة يوم يكون. قاله مكي[2]، وتعقب السمين الحلبي هذا القول بقوله: ((وعلى هذا يكون ما بينهما اعتراضاً، وهو بعيد جداً، متنافر لنظم الكلام))[3].

وقيل: إن (يوم) مفعول به منصوب بفعل مقدر، أي: اذكر يوم يكون الناس[4].

وقيل: إن (يومَ) مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف، وبُنِيَ على الفتح لإضافته إلى الفعل المضارع على رأي الكوفيين والتقدير: يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث[5].

---

(١) البحر المحيط ٥٠٤/٨، وينظر: الدر المصون ٥٦٣/٦.

(٢) ينظر الدر المصون ٥٦٤/٦.

(٣) ينظر: مشكل اعراب القرآن ٣٧٤/٢، الدر المصون ٥٦٤/٦.

(٤) ينظر البحر المحيط ٥٠٤/٨، الدر المصون ٥٦٣/٦، فتح القدير ٨٩٨/٥.

(٥) ينظر فتح القدير ٨٩٨/٥، وإرشاد العقل السليم ٥١٢/٥. وجوز الكوفيون فيما يضاف إلى الجملة جوازاً الإعراب والبناء سواء أضيف إلى جملة فعلية صدرت بماض، أو جملة فعلية صدرت بمضارع، أو جملة اسمية وتبعهم ابن مالك ينظر شرح ابن عقيل ٥٩/٣.

وقرأ زيد بن علي (رضي الله عنه) ((يومُ يكون)) برفع الميم أي: وقتها يومُ يكون الناس، أو هي يومُ[1].

وجوز بعضهم أن يكون قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ التي بدأت بها السورة مبتدأ، وقوله: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ اعتراض، ويكون قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ خبراً. أي هذا واقع يوم يكون الناس[2]. فيكون متعلقاً بمحذوف.

وقد أجاز الطبري والنحاس هذا الوجه، والتقدير عندهما: القارعة يوم يكون[3].

وفي هذه الآية ملحظ بياني تأتّى من تجهيل التوقيت وعدم تحديده بزمان معلوم في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ والقصد بهذا التوقيت زيادة التهويل بما أضيف إليه ((يوم)) من الجملتين المفيدتين احوالاً هائلة، لأنّ شأن التوقيت يكون بزمان معلوم، إذا كان الحال المؤقت بزمان غير معلوم مداه كان مدعاةً للأطماع في تعيين وقت حصوله، لأنهم يسألون متى الوعد؟ فتوقيته بما هو مجهول لهم إبهام آخر للتهويل والتحذير من مفاجآته[4].

وبهذا يكون قد حصل عند هذه الآية تهويل شديد بثمانية طرق **وهي:**

---

(١) ينظر البحر المحيط ٥٠٤/٨، والدر المصون ٥٦٤/٦، وقراءة زيد بن علي دراسة نحوية ولغوية ص١٠٠-١٠١، اعراب القراءات الشواذ ٧٣٧/٢.

(٢) ينظر كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ١٤٧٦/٢.

(٣) ينظر جامع البيان ٦٧٦/٣٠، وإعراب القرآن ٧٥٨/٣.

(٤) ينظر: الدر المصون ٥١٢/٦.

- الابتداء باسم ((القارعة)) المؤذن بأمر عظيم.
- والاستفهام المستعمل في التهويل.
- والإظهار في مقام الإضمار أول مرة.
- والاستفهام عمّا ينبئ بكنه القارعة.
- وتوجيه الخطاب إلى غير معين.
- والإظهار في مقام الإضمار ثاني مرة.
- والتوقيت بزمان مجهول محصوله.
- وتعريف ذلك الوقت بأحوال مهولة[١].

قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾

اختلف المفسرون واللغويون في تحديد الفراش.

- فقال ابن عباس (رضي الله عنهما): الفراش هو شيء يطير بين السماء والأرض مثل الجراد[٢].

- وقال قتادة رحمه الله: هو الطير الذي يتساقط في النار[٣].

- وقال الفراء في تفسير الآية: ((يريد كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا، كذلك الناس يومئذ يجول بعضهم في بعض))[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: تنوير المقباس٣٩٥، وجامع البيان ٦٧٦/٣٠.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٥٠٤/٨، وجامع الاحكام ٤٤٣/٢٢.

(٤) معاني القرآن ٢٨٦/٣.



-وقال أبو عبيدة: ((كالفراش المبثوث: طير لا بعوض ولا ذباب هو الفراش))[1].

-وجاء في البحر المحيط: ((الفراش طير دقيق يقصد النار، ولا يزال يقتحم على المصباح ونحوه حتى يحترق))[2].

-أما الطاهر بن عاشور فيعرّفه بقوله: الفراش: فرخ الجراد حين يخرج من بيضه من الأرض يركب بعضه بعضا، وهو ما في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ ((القمر: ٧)) وقد يطلق الفراش على ما يطير من الحشرات ويتساقط على النار ليلا))[3].

ويرى أنّ هذا الإطلاق لا يناسب تفسير لفظ الآية هنا به[4]. ولا أدري لماذا؟!

إنّ هذا الخلاف في تحديد ((الفراش)) يمكن أن نستنتج منه ما يأتي:

١- إن هناك تجهيلاً في معرفة الفراش، وهذا التجهيل تضمن تهويلاً شديداً آخر ينضاف إلى ما مرَّ من أهوال هذا اليوم العظيم.

٢- إنّ هذا الاختلاف ينبئ بأن ((الفراش)) حشرات متنوعة، ومختلفة الأشكال والأحجام والألوان. وهذا ينسجم هو والاختلاف الموجود في جنس البشر فهم يختلفون في أشكالهم و أحجام أجسامهم وألوانهم.

---

(١) مجاز القرآن ٢/٣٠٩.

(٢) البحر المحيط ٨/٥٠٤.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٥١٢.

(٤) المصدر نفسه ٣٠/٥١٢.

فتشبيه الناس في هذا اليوم العظيم بالفراش المبثوث تشبيه دقيق، وهو تشبيه مرسل مركب، لان وجه الشبه صورة منتزعة من أشياء متعددة، كما هو معروف عند البلاغيين.

وفي هذا التشبيه مبالغات كثيرة ذكرها الزمخشري بقوله: ((شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار، والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كلّ جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار))[(١)].

ولما كانت التشبيهات منتزعة من البيئة التي يعيش فيها الإنسان يلاحظ ان هذا التشبيه مستمد من البيئة العربية، مستمد من صورة أَلفها العربي واعتادها، فضرب بها المثل، وذكرها في شعره، وذلك لأن البيئة العربية صحراء مترامية الأطراف تسرح فيها حيوانات مختلفة، وتموج فيها حشرات متنوعة، فإذا خَيَّم الليل وجنَّ الظلام، فأنّ أي نار توقد تتهافت حولها الحشرات المتنوعة وتموج بعضها في بعض[(٢)].

وقد انعكس ذلك في كلامهم، فإذا أرادوا هجاء قوم شَبَّهوهم بالفراش، لأنهم لا حلوم لهم، كما ان الفراش طائش يموج بعضه فوق بعض حتى يهووا جميعهم في النار، انشد الليث:

أَودى بِحلْلمِهم الفيــاش فحلمُهــم
حلم الفراش غَشَيْنَ نار المصطلي[(٣)]

وإذا أرادوا أن يبينوا ضعف قوم وجهلهم شبهوهم بالفراش،

---

(١) الكشاف٤/١٣٧٤.

(٢) ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة ص١١٢-١١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (فيش) والفياش: المفاخرة.

قال الشاعر:

وقد كـــان أقـــوامٌ رَدَدْتُ قُلُـــوبَهم

عَلَلَيْهم وكانوا كالفراش من الجهلِ[1]

وضربوا المثل به في الطيش والهوج، فقالوا: ((أطيش من فراشة))[2].

ومن هذا نفهم وجه الشبه في الآية الكريمة: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ فالناس حين تنزل بهم نازلة يفزعون ويضطربون ويموج بعضهم فوق بعض. وهذا الاضطراب النفسي الحركي يؤدي الى التدافع الذي يؤدي إلى التهلكة، كما يؤدي تدافع الفراش إلى النار والهلاك[3].

أما الفعل ((يكون)) فيجوز فيه النقصان والتمام، فإذا كان ناقصاً ((الناس)) اسم له، و ((كالفراش)) في محل نصب خبره.

أما إذا كان تاما فيكون ((الناس)) فاعلاً له، و((كالفراش)) حالاً من الفاعل، أي: يوجدون أو يحشرون حال كونهم كالفراش، أي: شبه الفراش.

قوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾

العهن: واحده العِهْنة مثل: الصُّوف والصُّوفَة[4]، وهو: الصّوف المصبّغ الملون بالوان مختلفة[5].

---

(١) ينظر: الدر المصون ٥٦٤/٦، وارشاد العقل السليم ٥١٢/٥.

(٢) مجمع الامثال ٣٤٧/٢.

(٣) ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة ص١١٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن- للأخفش ٥٤٣/٢. وإعراب القرآن للنحاس ٧٥٨/٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن- للفراء ٢٨٧/٣، جامع البيان ٦٧٦/٣، الكشاف ١٣٧٣/٤، التفسير الكبير ٦٩/٣٠، وإرشاد العقل السليم ٨٩٨/٥.

والمنفوش: المتفرق الأجزاء، والنَّفش: فكُّ الأجزاء وخلخلتها وتفريقها عن تراصّها حتى ينتفش بعضها عن بعض[1].

والآية الكريمة تذكر حدثاً عظيماً مهولاً آخر تكون فيه الجبال الراسيات، الراسخات، الشامخات بسبب القارعة كقطع الصوف المندوفة المنتفشة الخفيفة الوزن التي لا صلادة فيها!!!

ومن المعلوم أنّ أبرز ما على الأرض هي الجبال، وأن تكوينها ورسوخها وثباتها لَأَمْرٌ يثير الدهشة والعجب. فأنّ آخر ما توصلت إليه النظريات الجيولوجية هو: ((أنّ للجبال جذوراً وتدية في الأرض يعدل امتدادها ضعفي امتداد الجبل عن الأرض. فهي أوتاد. وهذه الأوتاد تعمل على تثبيت القشرة حتى لا تميد بنا. فالعلم الحديث اثبت أنّ الأرض قشرة تمسك جوفها المشتعل، وهذه القشرة لن تمسك شيئاً لولا ثباتها وتماسكها الذي لا يأتي إلاّ بالجبال التي تفعل فعل الأوتاد والمسامير، وتحافظ على توازن القشرة الأرضية))[2].

وصدق ربُّنا العزيز القائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر: ٤٩ والقائل: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ الحجر: ١٩ والقائل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ النبأ: ٦-٧ والقائل: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٦٩/٣٠، والمحرر الوجيز ٥٥٤٧/١٥.

(٢) ينظر: وجوه من الاعجاز القرآني- مصطفى الدباغ ص١٥٦،١٥٥. نقلاً عن كتاب القرآن والعلم- لمحمد جمال الديني الفندي ص٣٢٢.

أقول: يا تُرى إذا كانت هذه حقيقة الجبال وتلك طبيعتها. فما هذه الحادثة العظيمة ((القارعة)) التي تجعل الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش؟!!!

إذاً لا بدّ أن تكون حادثة مهولة جداً، وعامة للكرة الأرضية كلّها. ويلاحظ ان التشبيه في هذه الآية ايضاً تشبيه مرسل مركب. فقد شبه الجبال الراسيات حال تفتتها وانهيارها، ثم صيرورتها كالهباء بعد صلابتها ورزانتها، بالصوف الملون المندوف الذي فُرِّقت شعراته بعضها عن بعض حتى صار على حال يطير مع اضعف ريح. فلا تلبث الجبال ان تذهب وتتطاير أجزاؤها وتتناثر.

واختصاص العهن هنا لألوان الجبال[1]، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فاطر: ٢٧.

وقيل: يحتمل أن يكون المراد من قوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ القارعة: ٥ أنّ جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حرارتها[2].

وفي هذه الآية الكريمة ملاحظ بيانة منها:

- أن التعبير القرآني كرّر الفعل مع حرف العطف (الواو) فقال: القارعة: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ ٤-٥ ولم يقل: يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٦٩/٣٠، وروح البيان ٥١٢/١٠، وحدائق الروح والريحان ٢٧٠/٢٢.

(٢) ينظر التفسير الكبير ٦٩/٣٠.

والجبال كالعهن المنفوش.

وسبب ذلك أن التكرير في هذا المقام أبلغ في الترهيب والتحذير[1]. فضلا عن الاشارة الى اختلاف الكونين. فإن الكون الأول كون إيجاد، والثاني كون اضمحلال. وكلاهما علامة على زوال عالم وظهور عالم آخر[2].

-استعمال ((العهن)) بدلا من الصوف، وقد قرأ ابن مسعود (رضي الله عنه) ((كالصوف المنفوش))[3]، وذلك لان العهن هو الصوف المصبوغ ألواناً مختلفة بفعل الإنسان، وهذا ما يناسب ألوان الجبال المختلفة -كما أشرنا- أما الصوف فغير مصبوغ، وقد تكون بعض ألوانه مختلفة لكنها محدودة ليس بكثرة ألوان العهن.

ومشهد العهن المنفوش له دلالته على البيئة العربية، ذلك لان الصوف من منتجات حيواها الذي هو عماد حياها، فكانوا يجتزونه من غنمهم، ويصبغونه بألوان مختلفة وينفشونه، فيصنعون منه ما تطلبه حياهم[4].

إن أصوات لفظة ((العهن)) جسّدت حال الجبال عند حدوث الواقعة فلو نَطَقْتَ هذه اللفظة ((الْعِهْن)) وَتَأمّلْتَ صفات حروفها، وتحسَّست تحقيق مخارجها لوجدت ان نطق المقطع الأول الطويل المغلق (أل) فيه شدة وقوة، لأن تحقيق نطقه يحتاج الى جهد عضلي.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٥١٣/٣٠.

(٣) ينظر: معاني القرآن- للفراء ٢٨٦/٣، التفسير الكبير ٧٢/٣٢، إعراب ثلاثين سورة ص١٧٣.

(٤) ينظر معارج التفكير ٤٤٧/٢، والتعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة ص٧٧.

وأن مخرج اللام أعلى من مخرج العين، لان اللام صوت لثوي مجهور مغلظ، أي: ينطق بأن يتصل طرف اللسان باللثة، ويرتفع الطبق حتى يتصل بالجدار الخلفي للحلق[1].

أما العين فهو صوت حلقي، رخو، مجهور مرقق يتم نطقه بتقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق[2].

والهاء صوت يخرج من أقصى الحلق (الحنجرة) رخو، مهموس يجري فيه النفس[3].

أما النون فهو صوت لثوي انفي مجهور متوسط بين الشدّة والرخاوة يتم نطقه بجعل طرف اللسان متصلا باللثة مع خفض الطبق لفتح المجرى الأنفي[4].

إن تحقيق نطق أصوات ((العهن)) في الآية الكريمة. يبدأ في حالة الدرج بمقطع طويل مغلق (كَ-لَ) فيه شدة في الوقوف على آخره، وفي نطقه يحصل صعود إلى اللام اللثوي، ثم نزول إلى العين، ثم يستمر النزول إلى الهاء ذي التموجات الهوائية الضعيفة، ثم صعود إلى النون اللثوي.

وتحقيق نطق أصوات هذه اللفظة يُجَسّد لنا عملية تفجير الجبال ونسفها التي تبدأ من الأسفل، وانهيارها من الأعلى، ودك بعضها على بعض وتفتتها بسبب تطاير أجزائها، وتطايرها كالعهن المنفوش والله أعلم.

---

(١) ينظر: علم الأصوات اللغوية ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه ٨٤.

(٣) ينظر دروس في علم الاصوات العربية ص٣٥.

(٤) ينظر: علم الاصوات اللغوية ص٧٤.

قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ القارعة: ٦-٧.

ثم ينساق الحديث من ذكر المشهدين العظيمين اللذين يحدثان بسبب القارعة الى الجزاء الذي يستحقه كلا الفريقين.

والذي يلاحظ أن القرآن قد اكتفى بذكر مجمل عن النتيجة التي تدلُّ على سوابقها التي طواها من بَعْثِ الأموات إلى الحياة الأخرى، والحشر، والحساب، ثم فَصْل القضاء بين العباد على ما قدموا في الحياة الدنيا. ثم يأتي تحقيق الجزاء[1]، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ القارعة: ٦-٩.

وكل الذي ذكره هنا بيان إجمالي لانقسام الناس على قسمين، وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكلّ منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل[2].

والفاء في قوله ((فأما)) فصيحة، إذ أفصحت عن محذوف، وهو جواب شرط مقدر، فكأنما قيل: إذا أردت أن تعرف ما ذكرته لك من حال الناس في يوم القيامة، وأردت بيان حالهم ومآلهم فأقول: أما من ثقلت موازينه...الخ.

و(أما) حرف يفيد معنى الشرط والتفصيل والتوكيد[3]. لذا فالناس تتشوق بلهفة إلى ما يأتي بعدها، لأن صبرها قد نفد، وهي تتطلع إلى معرفة كُنْه القارعة وحقيقتها، فجاءها الجواب: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ القارعة: ٦-٩.

---

(١) ينظر: معارج التفكير ٢/٤٥١، ٤٥٢.

(٢) ينظر: ارشاد العقل السليم ٥/٨٩٩، وروح المعاني ٣٠/٤٤٨.

(٣) ينظر معترك الاقران ٣/٦٤.

حكم عدل، وفيض عطاء جميل من لدن ربٍّ رحيم كريم، جزاء وفاقاً للمؤمنين الصابرين.

واللافت للنظر أن الإبهام أيضاً حاصل في العطاء بدليل اختلاف المفسرين في بيان معنى ((موازين)) و ((راضية)). وما ذاك إلا لتشويق الناس بهذا العطاء، وترغيبهم في نهج سبل الحصول عليه، ثم النجاح والفوز بهذا التكريم العظيم.

فقيل: الموازين: جمع موزون، وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله سبحانه وتعالى.

وقيل: الموازين: جمع ميزان، وهي الآلة التي توضع فيها صحائف الأعمال وثقلها: رجحانها[1].

وقيل: الموازين: الحجج والدلائل، ومنه قول الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قبل لقائكم ذا مِـــرَّة　　　عندي لكلّ مخاصم ميزانـــه[2]

وقيل: الوزن: عبارة عن القضاء السَّوي والحكم العادل[3].

وقيل: الموزون: الأعمال أنفسها تجسداً، وصحائفها[4].

ويرى سيد قطب أنّ القرآن استعمل هذا التعبير تمشياً مع طريقة التجسيم التي تكثر في تصوير القرآن الكريم، فجعل لوزن الأعمال المعنوية موازين حسيّة على مشهد من الناس المبثوثين كالفراش[5].

---

(١) ينظر: الكشاف ١٣٧٣/٤، التفسير الكبير ٧٠/٣٠، وفتح القدير ٥١٢/٥.

(٢) ينظر: جامع الأحكام ٤٤٥/٢٢، وفتح القدير ٥١٢.

(٣) ينظر إرشاد العقل السليم ٨٩٩/٥.

(٤) نظم الدرر ٢٢٣/٢٢.

(٥) ينظر مشاهد القيامة ص٦٥.

ونحن نرى أن جمعها للتعظيم ولتعددها على وفق تعدد أعمال الإنسان. فلما كان قوام النجاة، ثم الفوز والفلاح بعطاء الله سبحانه وتعالى هو الأعمال الصالحة التي يقدمها العبد في الحياة الدنيا. تلك الأعمال التي تنبثق من الإيمان الصادق، والنيات الخالصة لوجهه تعالى والامتثال لأوامره، والابتعاد عن نواهيه، والاستشعار برقابته سبحانه وتعالى في كلّ جزيئة من أجزاء الأعمال التي يقوم بها الإنسان جعل الله لها ثقلاً توزن بموازين ربانية لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصتها.

وثقل الموازين رجحانها، لان الحق ثقيل، والباطل خفيف لا وزن له.

وفي هذا الاستعمال كناية عن رضى الله سبحانه وتعالى عن عبده لكثرة حسناته التي حصل عليها من أعماله الصالحة في الحياة الدنيا.

ومن نافلة القول أن نذكر انه قد شاع عند العرب الكناية عن الفضل والشرف والمترلة الرفيعة، وأصالة الرأي بالوزن ونحوه، وكأن صاحبها اذا وضع في ميزان كان له به رجحان.

قال النابغة:

إلى خيرِ دينٍ نسكه قد علمتـــه ... وميزانه في سورة البرِّ مـــاتع[1]

وبضد ذلك يقولون: ((فلان لا يقام له وزن))[2].

وقال تعالى في حق الذين عملوا أعمالاً غير مشروعة، وجحدوا بآياته: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ الكهف: ١٠٥.

(١) الديوان ص٥٢ وماتع: راجح.

(٢) التحرير والتنوير ٥١٣/٣٠.

قوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾

ما أطْيَبَ هذه العيشةَ التي وصفها ربُّنا عزّوجلَّ بهذا الوصف الدقيق ((راضية))! طوبى لمن ينالها من ذوي الأعمال الصالحة، والفضائل الراجحة. عيشة تسرُّ بها نفوسهم، وتقرُّ بها أعينهم.

فقد ورد عن قتادة ((رحمه الله)): أن قوله ((في عيشة راضية)) يعني: الجنة[1].

والمشهور في معنى ((راضية)) عند المفسرين: أنها ذات رضى، أو مرضية يرضاها صاحبها[2].

وقيل: معنى راضية، أي: فاعلة للرضا، وهو اللين والانقياد لأهلها[3].

وقيل: راضية هنا ليس من باب النسب، بل هو اسم فاعل أريد به لازم معناه، لانّ من شاء شيئاً ورضي به لازمه، فهو مجاز مرسل، أو استعارة مكنية، أو مجاز في الإسناد إذ اسند الرضى إلى العيشة، والأصل انه هو الراضي بها[4].

ويلاحظ في استعمال عيشة ((راضية)) وجوه بيانية منها:

١- أن التعبير القرآني استعمل صيغة ((عيشة)) و لم يقل ((عَيْش)) لكي لا يتبادر إلى الذهن أن العيش في الجنة ذو ألوان، كما في الحياة الدنيا. فقد ينقلب العيش من حال إلى حال. لكن قال ((عيشة)) فألحقها التاء الدالة

(١) ينظر: جامع البيان ٦٧٦/٣٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٧١/٥، والتفسير الكبير ٧٠/٣٠، فتح القدير ٥١٢/٥، إرشاد العقل السليم ٥،٨٩٩، وروح المعاني ٤٤٩/٣٠.

(٣) ينظر: جامع الأحكام ٤٤٥/٢٢، وفتح القدير ٥١٢/٥.

(٤) ينظر: روح المعاني ٤٤٩/٣٠.

على الوحدة ليفهم أن العيش في النعيم يكون على حالة واحدة في الصفاء واللذة[1]. فالعيشة كلمة تجمع النّعم كلها التي في الجنة[2].

٢- إنّ استعمال صيغة ((راضية)) هنا صفة للعيشة استعمال مقصود لغرض التوسع في المعنى، فالتعبير أراد أَنّ يبين إن أصحاب هذه العيشة راضون بها كلَّ الرضى، وهي راضية بأهلها كلَّ الرضى، وتَحقُّقُ الرّضى منها ومن أهلها يدل على أروح نعيم العيش ورغده.

يقول صاحب كتاب معارج التفكير عن الغرض من استعمال:

((عيشة راضية)): ((والغرض البياني الإشعار بمصاحبة الرضى لكلّ أجزاء عيشة المؤمن في الجنة، فلا يوجد عنصر منها، ولا أجزاء زمنية مرافقة لها تخلو من الرّضى، وهذا المعنى لا تؤديه عبارة: فهو راض عن عيشته، وذلك لان الإنسان قد يرضى عن عيشته ولو دخلت ضمنها منغصات، إذ هو ينظر إلى عيشته باعتبار الأغلب من أحوالها، بخلاف العيشة نفسها التي تمرُّ أجزاء مع توالي الأزمان، إذ كلّ جزء منها منفكٌ عن سابقه وعن لاحقه، فإسناد الرضى إليها يدل على أن كلَّ أجزائها مغمور بالرضى))[3].

ويلاحظ ان التعبير القرآني هنا أجمل في بيان نعيم هذه العيشة، واكتفى بقوله ((راضية)) وذلك ليدع العبد يجول في خياله ليتأمل صنوف النعيم في هذه العيشة الراضية.

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٢٢/٢٢٣، وروح المعاني ٣٠/٥١٢.

(٢) ينظر: جامع الاحكام ٢٢/٤٤٥.

(٣) معارج التفكير ٢/٤٥٢.

قوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾

خفَّ الشئُ يخِفُّ بالكسر صار خفيفاً، والتخفيف ضد التثقيل[1].

والمراد من قوله: ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: مَن قلّت حسناته وخفّ وزنها[2]. وغلبت سيئاته عليها، أو لم تكن له حسنة يُعْتَدُّ بها لاّتباعه الباطل[3]، واجتراحه المعاصي واقترافه الذنوب، والعيث في الأرض فساداً، فسقطت قيمته فكأنه ليس بشيء.

قوله: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾

أي: مأواه، أو مسكنه، أو مستقره الذي يصير إليه ويستقر فيه، وهو المكان الذي يضمه ويجمع أمثاله[4]. وأمُّه وصف لجهنم، وسمّاها أمه لان الكافر يأوي إليها، وتضمه كما يأوي إلى أمه[5].

و(هاوية) من هوى يهوي إذا سقط الى أسفل، والهاوية: المهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك، وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في إثر بعض[6].

ويذكر الرازي في قوله تعالى ((فأمه هاوية)) وجوها: ((أحدها أن الهاوية من أسماء النار[7]، وكأنها النار العميقة يهوي اهل النار فيها مهوى

---

(١) ينظر: الصحاح مادة (خفف).

(٢) ينظر: جامع البيان ٦٧٦/٣٠، الكشاف ١٣٧٤/٤، والتفسير الكبير ٧١/٣٠.

(٣) ينظر: نظم الدرر ٢٢٣/٢٢، وإرشاد العقل السليم ٨٩٩/٥.

(٤) ينظر: جامع البيان ٦٧٦/٣٠، البحر المحيط ٥٠٤/٨، وإرشاد العقل السليم ٨٩٩/٥.

(٥) المصادر نفسها، وينظر: جامع الأحكام ٤٤٦/٢٢.

(٦) ينظر: الصحاح، ولسان العرب مادة ((هوى))، وجامع الأحكام ٤٤٦/٢٢.

(٧) رُدّ هذا القول بأن تنوينها ينافي كونها اسم علم لجهنم، لان ذلك يلزم فيها المنع من الصرف للعلمية، والتأنيث. ينظر اضواء البيان ٢٣١/١٠.

بعيداً، والمعنى: فمأواه النار، وقيل: للمأوى (أمّ) على سبيل التشبيه بالأم التي لا يقع الفزع من الولد إلاّ إليها.

وثانيها: فأمُّ رأسه هاوية في النار، ذكره الأخفش والكلبي.

وقتادة قال: لأنهم يهوون في النار على رؤوسهم.

وثالثها: أنهم اذا دَعَوا على الرجل بالهلاك قالوا: هَوَتْ أمّهُ، لأنه إذا هوى، أي: سقط وهلك فقد هوت أمُّه حزنا وثكلاً، فكأنه قيل: وأما من خَفَّت موازينه فقد هلك))[1].

ولو أمعنا النظر في هذه اللفظة، وفي أصواتها التي انتظمتها لأمكننا القول: إن التعبير القرآني آثر هذه اللفظة على غيرها من الألفاظ التي وصفت بها جهنم أو التي سميت بها كما يقول كثير من المفسرين واللغويين، كالجحيم، أو سقر، أو غير ذلك لأسباب منها:

١- غرابة اللفظة وأعني بذلك أن فهمها يحتاج إلى تعمق كثير.

٢- دلالتها على السقوط السحيق، والتردي العميق.

٣- رعاية الفاصلة.

٤- إئتلاف أصواتها الذي يدلّ على معناها.

إن تأمل صفات أصواتها ((هاوية)) ونطق مقاطعها الصوتية يُنبئ على غاية عمقها وبعد مهواها.

فالمقطع الأول الطويل المفتوح (ها) لم يدل على القوة والاستعلاء الذي دلّ عليه المقطع الطويل المفتوح (قا) من القارعة، وإنما يدلُّ على الاتساع في

---

(١) التفسير الكبير ٧٠/٣٠، وينظر: الكشاف ١٣٧٤/٤.

النزول والتسفل، وزاده شدة في الانحدار المقطعان القصيران اللذان يتلوانه (وِ يــَ)، فكأنما الكافر لا يزال فيها نازلاً.

فهذه اللفظة هي التي يتطلبها النظم، وجوّ السورة الذي يتناسب هو ومستقر أولئك الذين قست قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم.

فأيَّةُ دقة في هذا الاستعمال المعجز. أليست ألفاظ القرآن الكريم صارت بطريقة، استعمالها، ووجه تركيبها كأنها فوق الألفاظ، كما يقول الرافعي[1].

قوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾

بعد أن أبهم (الهاوية) أخذت النفس أهبتها لتسمع تبيانها وتعرف حقيقتها، لكن التعبير القرآني فسّرها باستفهام فيه تجهيل وتعجيب تعظيماً لأمرها، أي: أيُّ شيء أعلمك ((ما هي)) هذه الهاوية! وهذا إشعار بأنها خارجة عن الحدود المعهودة، إذ لم يعهد احد مثلها ليقيس عليها[2].

وجملة (ما هي) من المبتدأ والخبر في محل نصب سدت مسد مفعولي (أدراك) والضمير (هي) يعود على الداهية المفهومة من الهاوية في قوله (فأمه هاوية)، أو يعود على (هاوية) على رأي من يقول: إنها اسم من اسماء النار، او دركة من دركات النار[3].

و(الهاء) في (هيه) هاء السكت، وهي تجلب لأجل تخفيف اللفظ عند الوقف[4].

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢٥٨.

(٢) ينظر: الدرر ٢٢٤/٢٢، وفتح القدير ٥١٣/٥.

(٣) ينظر: الكشاف ١٣٧٤/٤، البحر المحيط ٥٠٤/٨، والدر المصون ٩٦/١١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٥١٥/٣٠.

وجمهور القراء أَثبتوا نطقها في حالتي الوقف والوصل، وَحَذَفَها في الوصل حمزة بن حبيب الزيات، والأعمش وآخرون[1].

وفي مجيء هاء السكت هنا ملحظ بياني أشار إليه البقاعي بقوله: ((وهاء السكت إشارة إلى أنّ ذكرها ممّا يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال في الكلام، أو إلى أنها ينبغي للسامع أن يقرع بهذا الاستفهام عنه سمعه فيسكت لسماع الجواب وفهمه غاية السكوت، ويصغي غاية الإصغاء))[2].

قوله: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

ولننظر إلى التعبير القرآني كيف فسَّر ((الهاوية)) بعد أن أبهمها وهوّلها بقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾.

بينها بما يمكن معرفته من وصفها، فيقال: (نارٌ حاميةٌ) أي: قد انتهى حرّها، وبلغ في الشدّة إلى الغاية[3].

وقوله: (حامية) صفة لـــ(نار) التي أعربوها خبراً، أي: هي نارٌ حامية وهذه الصفة تفيد التوكيد. كقولنا جاء طالبٌ واحد و أمس الدابر لا يعود.

ويرى الطاهر بن عاشور أن وصف النار بـــ(حامية) هو من قبيل التوكيد اللفظي، لأن النار لا تخلو من الحمي، فوصفها بهذا الوصف هو وصف بما هو معنى لفظ (نار) فكان كذكر المرادف، كقوله تعالى: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴾ الهمزة: ٦.

---

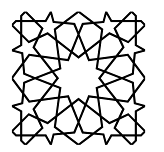
(١) ينظر: السبعة ٦٩٥، التيسير ص٢٢٥، البحر المحيط ٥٠٤/٨، والنشر ١٤٢/٢.

(٢) ينظر الدرر ٢٢٤/٢٢.

(٣) ينظر: فتح القدير ٥١٢/٥.

وفي التعبير إيحاء إلى أنّ جميع النيران بالنسبة إليها كأنها لم تكن حامية، وذلك كاف في التنبيه على قوة حرارتها وشدة استعارتها[1].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾



(١) ينظر التفسير الكبير ٣٢/٧١.

المصادر والمراجع

١- الأمالي الشجري- ابن الشجري (ت٥٤٢هـ)، ط١، مطبعة دار المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن (١٣٤٩هـ).

٢- إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم- للعلامة أبي السعود (٩٥١هـ)- دار الفكر (د.ت).

٣- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي- بيروت٢٠٠٤م.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الامين الشنقيطي دار الكتب العلمية-بيروت،ط٢٠٠٢،٢م.

٥- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم- لابن خالويه (ت٣٧٠هـ)- دار التربية (د.ت).

٦- إعراب القرآن- لابي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، منشورات وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة العاني- بغداد.

٧- إعراب القرآءات الشواذ- لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، ط١، عالم الكتب ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨- البحر المحيط- لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٩- التبيان في إعراب القرآن- أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٧٩.



١٠- التحرير والتنوير- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر (د.ت).

١١- التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة- ابتسام مرهون الصفار، ط١، مطبعة الآداب، النجف الاشرف ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

١٢- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم- د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط٢، مكتبة وهبة- القاهرة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٣- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب- فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت ط٢، ٢٠٠٤م -١٤٢٥هـ.

١٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس- الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ). مطبعة الاستقامة ١٩٦٠م.

١٥- التيسير في القراءات السبع- أبو عمر الدايني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتوبرتزل- مطبعة الدولة- اسطنبول ١٩٣٠م.

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن- ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)- دار الكتب العلمية- بيروت ط٤، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ.

١٧- الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ)- تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين- مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٨- حاشية الصبّان على شرح الأشموني- مطبعة دار إحياء الكتب العربية- مصر (د.ت).

١٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين- دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٠- الدر المنثور في تفسير بالمأثور- جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، ط١، ١٩٨٣م.

٢١- دروس في علم أصوات العربية- جان كانتينو- ترجمة: صالح القرماوي، الجامعة التونسية ١٩٦٦م.

٢٢- ديوان الخنساء شرحه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت- لبنان.

٢٣- ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكّيت- تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر، بيروت ١٩٦٨م.

٢٤- روح البيان في تفسير القرآن- الشيخ إسماعيل بن حقي البروسوي (ت١١٣٧هـ)، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن- دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان (د.ت).

٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- لأبي الفضل شهاب الدين ابن محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.

٢٦- زاد المسير في علم المسير- لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، دمشق ١٩٦٥م.

٢٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط١٦، دار الفكر، بيروت ١٩٧٤م.



٢٨- الصحاح- للجوهري (ت٣٩٣)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطـــا، دار العلم للملايين. بيروت، ط٣، ١٤٠٤هــ-١٩٨٨م.

٢٩- علم الأصوات اللغوية- د. مناف مهدي محمد، ط١، عالم الكتـــب- بيروت ١٤١٩هــ-١٩٨٨م.

٣٠- فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير- محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هــ)- شركة دار الأرقم للطباعة والنشر- بيروت (د.ت).

٣١-في ظلال القرآن- سيد قطب، ط٣٤، دار الشروق ١٤٢٥هــ- ٢٠٠٤م.

٣٢- قراءة زيد بن علي- دراسة نحوية لغوية- د. خليل إبراهيم السامرائي- مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هــ، ٢٠٠٦م.

٣٣- كتاب السبعة- ابن مجاهد (ت٣٢٤هــ)، تحقيق: د. شوقي ضـــيف، مصر ١٩٧٢م.

٣٤- كتاب سيبويه، أبو بشر عمر بن قنبر (سيبويه) - (ت١٨٠هــ) تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مصر ١٩٨٣م.

٣٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبـــو القاسم جار الزمخشري (ت ٥٣٨هــ)- دار إحياء التراث العـــربي- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هــ-٢٠٠٣م.

٣٦- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات- أبو الحسن علي بن الحـــسين الباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الوالي، ط١، ١٩٩٥م، ١٤١٥هــ.

٣٧- لسان العرب- ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

٣٨- مجاز القرآن- لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مصر مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٣٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لابن عطية الأندلسي، تحقيق السيد عبد العال السيد إبراهيم- دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة.

٤٠- مشكل إعراب القرآن- مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن دار البشائر، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤١- مجمع الأمثال- أحمد بن محمد الميداني (ت٥١٨هـ)- تحقيق د. جان عبد القادر توما، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٢- مشاهد القيامة في القرآن- سيد قطب، دار الشروق (د.ت).

٤٣- معارج التفكير ودقائق التدبّر- عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني مطبعة دار القلم- دمشق ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤٤- معاني القرآن- سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، ط٢، تحقيق د. فائز فارس، دار البشير ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٥- معاني القرآن- يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، ط٣، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شبلي. مطبعة دار الكتب- القاهرة ٢٠٠٢م.

٤٦- معاني القرآن وإعرابه- أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ). تحقيق: د. عبد الجليل عبده شبلي دار الحديث- القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٤٧- معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية- إيران (د.ت).

٤٨- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل- ابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ)، علق عليه: عبد الغني محمد علي الفاسي- دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- برهان الدين البقاعي، ط٢، دار الكتاب الإسلامي ١٤١٣هـ-١٩٩٤م.

٥١- وجوه من الإعجاز القرآني- مصطفى الدباغ- ط٢، مكتبة المنار- الزرقاء- الأردن ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

